

بشرى رخاى مېن ئېلىن

72-960807

الذئنا
عك ر سول

هكذا بشرت به الأناجيل

الطبعة الثانية

الطبعة
عالم الكتب
٣٨ عبدالحق شروت، القاهرة

بشري زخاري مينجيل
لسانس فلسفة - جامعة عين شمس

محمد رسول الله

هكذا بشرت به الأناجيل

الطبعة الثانية

الناشر
عالم الكتب
٣٨ عبد الحالق شروت - القاهرة

تعريف بالكتاب

يقول الدكتور ميشيل الحائك الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس
في كتاب له بعنوان « المسيح أمام المسلمين » ، أن هناك فرضاً قاطعاً على
عقن المسيحيين ، وهو أن يقبلوا على تفهم الدين الإسلامي بإخلاص
لمعتقد الغير وانفتاح على ما بينه وبين المسيحيين من قرب وأنه لابد
للؤمنين بإله إبراهيم من أن يقفوا صفاً واحداً للدفاع عن قضية الإيمان
التي هي قضية الإنسان .

انطلاقاً من هذا الاتجاه حاولت بإخلاص أن أقدم لغير المسلمين
المبادئ التي تشتمل عليها العقيدة الإسلامية والتي تتفق في جوهرها مع
سائر العقائد التي سبقتها .

لقد استطاعت البشرية أن تتخلص من كثير من قيود المصور
الوسطى ، عصور الجهالة والظلام الفكري ، ولكن للأسف ما زالت

هناك بقايا لهذه القيود مازالت تعيش حتى يومنا هذا تتمثل في هذه الحواجز المصطنعة ، وهذا التباعد المتعمدين الديانتين المسيحية والإسلام .

مقدمة

لهذا جاء هذا الكتاب محاولة لكسر هذا الجمود ودعوة لغير المسلمين إلى البحث وتقصي الحقائق بدلا من تلقى هذه الحقائق من الأوائل بدون اقتناع شخصي .

بشرى زهاري

الإيمان بالله ورسله ، ومعاونة الناس بعضهم لبعض في الخير ونبذ الشر ، والإيمان بالحياة الأخرى هو الأساس والجوهر والدعامة التي يرتكز عليها كل دين . وما دام الأمر كذلك جاز لنا أن نتساءل : كيف يمكن تعليل الإيمان برسالة دون سائر الرسالات ، مع أن رسالات الأنبياء جميعاً تتفق في هذه الأصول ؟

لقد حاولت بقدر استطاعتي أن أتلمس الأسباب العقلية التي تدفع بعض الناس إلى تفضيل الدين الذي يعتقدونه على سائر الأديان التي لا يعتقدونها ، ووجدت أن غاية ما عندهم من التعليل لهذا التفضيل هو أنهم يؤمنون بهذه العقيدة لأنها عقيدة نبيهم ، ولا يؤمنون بالعقائد الأخرى لأنها عقائد أنبياء آخرون لا يؤمنون بهم ولا يقولون لماذا ينسكروهم بعد إيمانهم بأمثالهم ، ولا يستطيعون أن يردوا هذا الانكار إلى سبب معقول .

إن الوقت الذي كانت تنطوي فيه كل جماعة على ما عندها من أفكار وعلوم ومعتقدات تنكر كل ما يخالفها، وتعادى كل ما بعد عن دائرة معارفها، هذا الوقت قد ولى وأصبح لزماً على كل متحضر ومثقف ومتعلم أن يختار لنفسه من بين هذه التعاليم هنا وهناك ما يراه أكثر صواباً وتحققاً لصالح الإنسان وكمالها، وفي رأى أن المرء المثقف لا يمكن أن يحظى بإيمان حقيقي إلا بعد أن يعرف الحجج العقلية التي يدعم بها إيمانه، إذ ليس من الإيمان في شيء مجرد التقليد والتصديق لما تقول به جمهرة الناس، والإذعان للتقاليد والتعاليم الموروثة بدون معرفة الدليل الذي يؤكد صحتها. ذلك أن العقيدة لا تكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد، والإيمان لا يكون إيماناً حتى ينبع من القلب عن رضى خالص وطمأنينة صادقة.

وإن كان د. كنفوشوس، قد قال قبل الميلاد بخمسةماية عام، إنى لا أملك لك شيئاً إن كنت لا تستطيع أن تقول هذا رأى، فإن الضمير في عصر العقل خاصة يجعل من هذه العبارة نهجاً مقدساً، وهكذا رأيناه يدفع كل حكمة العصر إلى دعم هذا الحق الجليل، وهذا ما حدا به د. مونتين، إلى أن يرفع صوته عالياً قائلاً: علينا أن نفحص كل شيء وألا ندخل هقولنا شيئاً بمجرد أنه عرف مقرر. علينا ألا نعتق مبادئ أرسطو والرواقين أو الايقورين دون أن نفحصها ونختار منها، أن من يتبع الآخرين بغير هدى من تفكيره واقتناعه لا يتبع شيئاً ولا يعثر على شيء وإن الصدق والمنطق حق لكل إنسان وليس ملكاً خاصاً لمن ينطق بهما لأول مرة، وإنما هما لكل من يقدر عليهما.

وإن النحل يتعص الشهد من هذه الزهرة ومن تلك، ثم تخرج من بطونها شرايها هي... وشهداها هي.

ولن يسود سلام على الأرض قبل أن يتعلم البشر كيف يتساحون بعضهم تجاه بعض في كل خلافتهم السياسية والفلسفية والدينية؟

على ضوء هذا المبدأ حاولت بحث الموضوع آنف الذكر، فلم أجد سبباً عقلياً واحداً يدعو إلى الإيمان ببعض الأنبياء دون بعضهم الآخر، وانتهيت إلى ما وجدت أنه حق وأنه صواب، وهو وجوب الإيمان بالرسل جميعاً. وكل ما أرجوه من القارىء هو أن يبدأ بتعمق دراسة وجهة النظر التي أقدمها له. ولست أغالى وأقول أنها وجهة نظر وحيدة، أو بأنها يقينية على وجه الإطلاق، وإنما هي تؤكد قناعتنا بفائدة طرح المشكلة على بساط البحث المتعمق التزيه. وأن وجهات النظر المختلفة لا تنجب في لقاحها سوى النفع الثقافى واليقظة العقلية ما دام رائدها الأول والآخر استهداف الحقيقة أياً ما كان قائلها.

إن الحقيقة ضالة المؤمن، وهى ضالة الإنسان بوجه عام ولا نحسب ضمائر البشر وعقولهم تلتقى في ميدان أرفع من ميدان تحرى الحق وطلب الصواب، ولو بذل في سبيل ذلك جهود مضنية. وقامت مناقشات حادة دائمة، قد تؤدى إلى الإخفاق في بعض النقاط أحياناً، ولكنها لن تكون بوجه من الوجوه سبيل العبث والضلال.

خلاصة القول أن مبدأ الإيمان بالرسل عامة هو القصد من إصدار هذا الكتاب، وقد وجدت نفسى أعالج هذه الموضوع بروح المحاولة في

لمبراز وحدة العقيدة وجورها بغض النظر عن الالوان الدينية المختلفة ،
ولما نظرت إلى القمم التي يتلاقى عليها اوغسطينوس وعلى بن أبي طالب
وغاندى فلم أحفل بالسفوح والمقتطفات ،

وفي رأي أن هذا المبدأ — مبدأ الإيمان بالرسول جميعاً — لو أخذ
به الناس بعد تفحص ودراسة نزيهة لما كانت هناك صفائين وأحقاد ،
ولما افترق أبناء الأمة الواحدة لاختلاف عقيدتهم ، ولكن للأسف
فإن أهل الأديان السهوية قد اختلفوا فيما يجب الاتفاق عليه ، وتنازعوا
فيما يدعو الاتحاد إليه ، وبذلك أصبحت الحياة بينهم عداً وتخالفاً ، وهذا
لأشك له أثر بعيد في حياتهم واجتماعاتهم ولو علوا حقيقة أمرهم وأن
الله سبحانه وتعالى رب العالمين من مسلمين ومسيحيين ويهود ومجوس
ومشركين ، وهو وحده الذي يفصل بينهم جميعاً بعدله يوم القيامة ،
لو عرف الناس ذلك كله ، وأدركوا بعقول صحيحة وقلوب سليمة
لأصبحوا جميعاً في هذه الحياة إخواناً متحابين ، يضرّبون في هذه الأرض
متعاونين كل بسيعه طاهرة نفوسهم متحدة قلوبهم ، كما أمرت بذلك
أديانهم ، بأذلين جهودهم فيما يعود بالخير والنفع عليهم ، لكن للأسف
فإن أهل الأديان قد اختلفوا — كما قلنا — فيما يجب الاتفاق عليه .
ذلك أن مبدأ الإيمان بالرسول عامة يختلف عند المسيحي عنه عند المسلم ،
فالمسيحي يؤمن بكل الرسل ، وبجميع الكتب من الله قبل المسيح ،
ويؤمن بأن رسالة النبوة قد انتهت بالمسيح نفسه ، وبالتالي فليس ثمة
مجال لديه للإيمان بالاسلام عنده كدين منزل من الله ، وعلى العكس من
ذلك يعترف المسلم بجميع الرسالات السابقة ، ويلزمه الإسلام بهذا

ديناً وعقيدة وسلوكاً ، لا مجرد التساح أو الجمالة والمسألة ، وبذلك
قضى الإسلام على التعصب بين نفوس معتقيه بالنسبة للأديان الأخرى ،
بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك حينما وضع مقياساً واحداً للتقرب من
الله واستحقاق ملكوته ، وأن ذلك المقياس يتلخص في كلمتين: الإيمان ،
والعمل الصالح . فكل من آمن وعمل صالحاً في هذه الدنيا فله أجره عند
ربه سواء في ذلك المسلم أو المسيحي أو اليهودي أو المتدين بأى دين من
الأديان : إن الذين آمنوا أو الذين هادوا والنصارى والصابئين من
آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون (سورة البقرة : ٦٢) .

وقد تكررت هذه الآية بنصها ومعناها أكثر من مرة حتى أصبحت
بمثابة قاعدة أساسية من قواعد الدين الإسلامى ، قاعدة تعين وحدة
الإيمان ووحدة العقيدة مهما تعددت الأسماء والسمات متى انتهت إلى
إسلام النفس كلها لله ، إيماناً ينبثق عنه العمل الصالح في الحياة :

والذى أود أن أقوله — ومعدرة للإطالة — هو أن الإسلام هنا
على خلاف بقية الأديان لا يجعل مجرد الانتساب للدين وحده كافياً
للنجاه ، بل يجعل النجاه مرتبط كل الارتباط بالإيمان والعمل الصالح
بغض النظر عن الدين الذى ينتمى إليه المؤمن ، فمن يعمل مثقال ذرة
خييراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، (الزلزلة ٧ - ٨) .

وتطبيقاً لذلك فإن أهل الكتاب هنا كالمسلمين سواء بسواء من
يفعل منهم مثقال ذرة من الخير فإن الله يثيبه عليه ، ومن يفعل منهم
مثقال ذرة من الشر فإن الله يجازيه عليه ، وأقرءوا إن شئتم من أهل

الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوه من خير فلن يكفروه ، والله عليم بالمتقين ، (آل عمران : ١١٣ - ١١٥)

كما تقدم يتبين لنا أن الأدلة على ضرورة الإيمان بالرسول جميعاً مساقه هنا إلى أولئك الذين يؤمنون ببعض الأنبياء ، وينكرون البعض الآخر ، مع عجزهم - كما قلنا - عن إثباتهم بدليل واحد يؤكد أن الوحي كان من نصيب النبي الذي يعتقدونه دون سائر الأنبياء ، كما أن المنطق نفسه يحتم أن لإثبات بعض النبوات وإنكار البعض الآخر هو هدم للعقيدة الدينية كلها أياً كانت من أساسها .

إن موقف الناس من الوحي يجب أن يكون واحدا مهما تكن الرسالة الموحى بها ، والرسول المبشر به ، لذا فن اعترف بوحي السماء إلى رسول من البشر لزمته الحججة ألا ينكر نزول الوحي على أى رسول من حيث المبدأ وما على المنكر لهذا المبدأ إلا أن يبين لنا مقياساً آخر يعرف به وظائف العقائد، ويفسر لنا تواترها وتعايقها على مرور الأجيال . إن الرغبة الملحة في إعلان كلمة الحق هي الغاية من إصدار هذا الكتاب ، وليس من سبيل للحكم على أى بحث إلا البحث نفسه ، فهو الذى يكشف عما إذا كان كاتبه يستهدف الحقيقة وجوهرها أو أنه يحاول من ورائه إثارة الشبهة أو الطمع في الشهرة ، وسأترك للقارىء من متابعتة لكل ما كتبت الحكم العدل فيما سينتهى إليه هذا البحث سائلا الله التوفيق والسداد .

إثبات أن القرآن كتاب سماوي

القرآن هو كتاب الإسلام ودستور المسلمين الذى أنزله الله على النبي ليجد فيه المسلمون نظام حياتهم وصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة ، وقد تعرض القرآن منذ أقدم العصور لمطاعن ومفتريات وشبه واتهامات قصدتها الذين أثاروها أن يشككوا في صحته وفي إعجازه وفي صدوره عن الله .

وموقف أهل الكتاب عن القرآن موقف مضطرب لأنهم حين يجدون في بعض آياته ما لا يرضون عنه يقولون : لأنه من عمل محمد ، أو من تلقيات تلقاها محمد ، من بعض الرهبان ، وأن محمدًا ، سار بقرآنه في الطريق الذى يتفق مع تقديره وتدييره للخطط التي أعدها . وعمل لها حساب في فترة طويلة من شبابه قضاها في الرياضة والخلوة ومدارسة أهل الكتاب . ذلك على حين أنهم إذا رأوا في القرآن ما يرضون عنه ، ما يقيم لهم حجة أو يضع بين أيديهم شبهة فيه تمسكوا وجادلوا فيه وجملوه مستنداً للأمر الذى يعينهم .

وهذا موقف أقل ما يوصف أنه مجاف للإنصاف لا منطبق له إذ القرآن كيان واحد ، إما أن يقبل كله أو يرفض كله ، فهو إما حق أو باطل ، سماوى أو أرضى ، من عند الله أو من صنعة بشر . وهذا مانود أن نصل إليه ، ولكي نبلغ الغاية التي نريدها يجب أن نقف موقفا حياديا من غير أى تدخل من جانبنا ، ودونما أى تكلف أو إضافة .

ولكي نبلغ الغاية التي نريدها يجب أن ننظر إلى الموضوع نظرة موضوعية تنسجم بالإنصاف والحيدة وعدم التحيز والتعصب ابتغاء وجه المعرفة وحدها ، ونسأل : هل صحيح أن القرآن ليس من عند الله ؟ للإجابة على هذا السؤال ينبغي لنا أن نستعرض أهم ما ورد فيه وهل هو مخالف لما جاءت به الكتب السماوية المنزلة من قبل ، أم أنه يتفق معها من حيث الجوهر والمضمون ، فإذا أوضح لنا أن مضمونه حاويا آية صدقه وليس فيه ما ينقض طمأنينة العقل أو يربها فلا مفر إذن من الإقرار بصدقه .

أما ما ينطوى عليه القرآن فهو ما يأتي :

— وجود الله ووحدايته ، فلا خالق ولا مدبر غيره ، ولا يشاركه في سلطانه وعزته شيء ، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ، وسع كل شيء علما ، (طه : ٩٨) .

— الصفات الكاملة الإلهية مثل كونه واحداً وقديما وأزليا وقادرا وعالما وسميعا وبصيرا وقدوسا ومحيا ويميتا — إلى آخر هذه الأسماء التي عبر بها سبحانه عن نفسه في كتابه على سمو ذاته وتعاليه عن خلقه ،

وعلى كمال حاله المائل في رحمته وفضله التي يناجى المؤمن ربه ويدعوه ويستحضر عظمته ، يتعرف آثاره ويسمو عن طريقها إلى أسمى درجات التقرب إلى الله ، والآيات الدالة على ذلك في القرآن كثيرة جدا ، نذكر منها على سبيل المثال قوله : وإلى الله ترجع الأمور ، (البقرة : ٢١) .
« والله واسع عليم ، (البقرة : ٢٤٧) والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ، (آل عمران : ١٥٦) .

— الإيمان باليوم الآخر وجزاء الأعمال في يومها ، وقد أرشد القرآن على أن ذلك خاتمة المطاف بالإنسان . وأن إليه تنتهى الغاية من خلق الإنسان ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى وإن إلى ربك المنتهى ، (النجم : ٤٠/٣٩) .
« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، (الزلزال : ٨/٧) .

— وحدة الرسائل الإلهية ، فالرسالات كلها ذات هدف واحد هو توجيه الإنسان إلى طريق السجالات والخير والحق ، وشرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، (الشورى : ١٣) .
وهو ينظر إلى هذه الرسائل على أنها مغارس هدى ورحمة في حقل الإنسان ، وقد أدت دورا مشمرا ناجحا في تربية البشر ، وفي تثبيت الحياة ، وفي دفع الضلالات ، وكشف العميات عنها .
— وهو بعد تقديره لوحدة الدين يقرر وحدة الجنس والنسب .

فالناس إذا لم تسعهم أخوة الدين، وهى أرحب من السكون سعتهم أخوة الأصل الواحدة، إن هم انعطفوا إلى الأصل والدم، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء، (النساء: ١).

— وهو يأمر بالمساواة بين الناس، لاتفاضل بينهم إلا على أساس كفايتهم وأعمالهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ووطنه: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير، (الحجرات).

وهذه المساواة العامة فى الإنسان تتحطم معها فوارق الجنس واللون والحسب والنسب، فوارق الانحراف البشرى والظلام الإنسانى، فوارق الجاهلية الضالة والهوى المتسلط والتعالى الكاذب والتمييز المصطنع وهو تمييز تآبأ فطرة الحياة التى لا تفرق فى قليل أو كثير بين طبيعة الخلق والولادة وأسباب المعرفة والإدراك،

— دعا إلى القضاء على الرق والعبودية من أساسهما وجذورها لأنهما يختلفان مع الحرية التى هى الأصل والحق الطبيعى للإنسان، فليس من العدل أن تخلق طائفة لتحكم وتسيطر، وتخلق أخرى لتحكم وتستعبد ويخلق بعض الناس ليكونوا سادة وبعضهم ليكونوا عبيدا لهؤلاء السادة.

جاء الإسلام فوجد الأرقاء يمانون ألوانا من العسف والظلم فى مشارق الأرض ومغاربها، ورأى مأسى الرق تزداد مع الأيام، فلم يكن له بد من علاج هذه المشكلة، واستئصال ذلك الداء، غير أنه رأى

— شأنه فى كل تشريع — ألا يلغى الرق جملة واحدة، بل أخذ يتدرج فى هذا الإلغاء يسير فى سبيله فى هداوة وائتزان رحمة بالناس وشفقة حتى لا يصدوموا مرة واحدة بما لم يألفوا فينفروا ويرفضوا.

وبما شرعه الإسلام ليسهل على العبد أن يتخلص من رقه نظام المسكأبة وهو أن يتفق العبد مع سيده على أن يعتقه مقابل مبلغ من المال يدفعه العبد للسيد، وفى نظير ذلك يتحرر العبد من سيده حتى يمكنه الحصول على هذا المال ويدفعه لسيده ثمناً لحرية، بل أنه لا يكتفى بسن هذا النظام ليسر للعبد شراء حريته، بل يلزمنا أن نساعدهم على ذلك، وأن نعطيهم من أموالنا، وفى هذا يقول: فكاتبوهم إن علمتم منهم خيرا، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم.

— يدعو إلى حسن المعاملة والتساح من غير ضعف ولا ذلة، والعفو عند المقدرة وضبط النفس: والكاظمين العيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين، النحل: ١٢٦، ادفع بالتي هى أحسن السيئة، نحن أعلم بما يصفون، المؤمنون: ٩٦.

فهو هاهنا يقول: إن أساء إليك رجل فاعف عنه واصفح وقابل السيئة بالحسنة، وإن ذمك فامدحه ولا تذمه وبذلك يصير كأنه صديق قريب إليك معتن بأمرك مهتم بشأنك. والإسلام وإن كان يجيز أن ترد السوء بالمثل إلا أنه يشجع العفو والمغفرة وضبط النفس عند المقدرة وليس فى ذلك شىء من الضعف مطلقاً، وإذا عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، (النحل: ١٢٦).

— يجعل العمل في سبيل الخير العام والرفعة الدائمة لا ينقطع أبداً ،
 فالإنسان لا يعوقه قضاء نازل أو يصرفه عنه بلاء واقع ، فأنت تجد
 الإيمان دائماً يحول بين النفس وبين القنوط ويحفظها من اليأس القاتل
 والهم المعوق ويفتح أمامها باب الأمل الفسيح ، وهي تعلم أن ما عند
 الله خير وأبقى وتؤمن بقوله : « ما أصاب من مصيبة في الأرض
 ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن تبراها ، إن ذلك على الله يسير ،
 لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، وأن الله لا يحب كل
 مختال فخور ، (الحديد ٢٢/٢٣) .

— يأمر برعاية اليتيم رعاية تكفل له حياة طيبة مطمئنة ، فلا تضيق
 لماله ولا قسوة عليه ولا لإهمال لأمري ضمن له الخير في حاضره ومستقبله
 « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً
 وسيصلون سعيراً ، (النساء : ١٠) « وأما اليتيم فلا تقهر ، (الضحى : ٩) .

— يدعو للتعارف والإيثار « وتعاونوا على البر والتقوى ،
 ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، (المائدة : ٢٠) وصفة الإيثار خروج
 من حظوظ النفس إلى حب الخير وعمل البر وبه يتم أقدس رباط
 وأكرم حب .

— يأمر بالعدل وينفر من الظلم « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ،
 وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، (النمل : ٩)
 والدعوة للعدل فيه للعدو والصديق والقريب والبعيد « اعدلوا هو أقرب
 للتقوى ، (المائدة : ٨) .

— يدعو عن البعد عن مصاحبة الفجار والفساق ، ويحرم الزنى حتى
 تتوافر للإنسان قبل أن يولد أسرة ترعاه وأبوه تحوطه ، وأصل يمتد
 به نسبه « قل إنما حرم ربي الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن ، والإثم
 والبغى بغير الحق ، (الأعراف : ٣٣) . « ولا تقربوا الزنى أنه كان
 فاحشة وساء سبيلاً ، (الأسراء : ١١٢) .

— يحض على الرحمة ، والرحمة التي يحض عليها ليست خاصة بالبشر ، فهي
 تشمل كل ذى كبد رطبة من الإنسان والحيوان « ثم كان من الذين آمنوا ،
 وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ، (البلد : ٢٧٠) .

— يدعو لأداء الأمانة والوفاء بالعهد « إن الله يأمركم أن تؤدوا
 الأمانات إلى أهلها ، (النساء : ٥٨) . والذين هم لأماناتهم وعهدهم
 راعون ، (المؤمنون : ٨) .

— يحرم جميع المعاملات التي تنطوي على غش أو رشوة أو أكل أموال
 الناس بالباطل « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى
 الحكام لتأكلوا مزيقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ،
 (البقرة : ١٨٨) .

— يجب إلى الأغنياء التصديق بفضل أموالهم على الفقراء ، ويجعل هذا
 من أكبر التقرب إلى الله وأعظمها أجراً « ليس البر أن تولوا وجوهكم
 قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة
 والكتاب والنبين وأتى المال حبه ذوى القربى واليتامى والمسكين وابن
 السبيل والسائلين وفي الرقاب ، (البقرة : ١٧٧) . يسألونك ماذا

ينفقون؟ قل ما أنفتم من خير فلولالدين والآقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما نفعوا من خير فإن الله به عليم ، (البقرة : ٢١٥) .
ولاشك أن هذه المعاني الانسانية تجمع الناس على ألفة بارة ومحبة صادقة وأمن موفور .

— ينكر على الناس أن تخالف أقوالهم أعمالهم ، ويعد هذا منافياً لمنطق العقل بجافياً لسنة الفطرة يعرض صاحبه لمقت الله وغضبه ، أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ، (البقرة : ١٤٤) .

يقرر أن كل إنسان مسئول عن عمله يجنى نتيجة كسبه من عمل صالحاً فانفسه ، ومن أساء فعليها ، (فصلت : ٤٦) .

هذه التربية الاستقلالية تجعل من الفرد إنساناً جديداً ، يتحمل المسئولية وتجعله يقرر أمر نفسه بنفسه ، أو ينال ما يرغب بسعيه وعمله ومن ثم فإن خطيئة لا يحملها غيره ولا يجازى عليها سواه .

— حث على العمل لينعم المرء بمعيشته في الدنيا ، ويتبعد عن ذل الحاجة وقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون ، (الاعراف : ١٠) ،

— فرض على أتباعه فرائض عملية من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وهذه الفرائض إنما قصد بها وقاية الانسان من الانحراف عن سوء السبيل وإعداده دائماً ليكون نموذجاً حياً للفضائل الانسانية والآداب القرآنية

فالصلاة رباط وروحي يربط الانسان بخالقه ويذكره كل يوم جمعبوديته فلا يرتكب إثماً أو يجترح خطيئة ، إن الصلاة تهي عن الفحشاء والمنكر .

أما الزكاة فهي التشريع الأمثل للتكافل بين أفراد المجتمع ، وهي حق في مال الأثرياء يحصلون عليه بالقوة عليه بالقوة عن طريق الحاكم ، لأن تعذر حصولهم عليه بالطريق الطبيعي ، وهي فضلاً عن ذلك تربي في المسلم صفات البذل والانفاق في سبيل الله وتحول بينه وبين الأثرة والفردية .

أما الصيام فهو فريضة خالدة في كل دين ، تصل القلوب بيارثها ، وترتفع بالانسان إلى مستوى كريم من الروحانية الانسانية بالاضافة إلى آثارها الصحية والاجتماعية ، « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، (البقرة : ١٨٣) »

والحج رحلة مباركة إلى المسكان الذي دفن فيه ابراهيم أبو الأنبياء إلى بيت الله الحرام يقوم بها المسلمون الذين يقدرون على تكاليفها ، يشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ، أنها رحلة تجمع المسلمين من كل فج عميق ، لتؤكد وحدتهم وتجمع كلتهم ، وتسموا بأرواحهم إلى آفاق قدسية من الطهر والصلاح .

إن هذه الفرائض تهذب الانسان وتقي الأمة عواهل التخلف والضعف وتجعل المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

— كشف عن معجزات السيد المسيح كشفاً جلياً ، وتحدث عنها حديثاً

صريحاً قاطعاً ، فهو يلقي إلى السيدة العذراء البشارة بمولده محملة بتلك المعجزات قبل أن يولد ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل ، إني قد جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والابرص ، وأحيي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم ، (آل عمران : ٤٩) .

فلا يفوتنا هنا أن نذكر ما قاله صاحب كتاب المسيحية في الإسلام (١) في هذا الصدد قال : يظن الكثيرون أن الإسلام يعطن في المسيحية ويحارب عقائدها ، هذا الظن منشؤه في الحقيقة عدم الإمام بما ذكره الإسلام عن المسيحية ، وأن الباحث المدقق في جميع الأقوال التي أوردتها القرآن عن النصرانية والنصارى ليتضح له أمران : أولهما : أن نبي الإسلام قد حفظ للديانة المسيحية مركزها ، وأيد حلالها ، وأثبت صحة الكثير من تعاليمها ، ونادى بوجوب تقديس أوامرها والعمل بها ، وثانيهما : أن القرآن لم يهاجم المسيحية التي أسسها المسيح ونشرها رسوله القديسون ولكنه هاجم بدعاً خاصة كانت قد ظهرت عند ظهوره ، ونادت بتعاليم لا تقرها المسيحية لخارجها ، كما حاربها المسيحية من قبل ومن بعد ، وكلنا نعلم أن الشرق — وقت ظهور الإسلام — كان مرتعاً خصباً للاضطرابات الدينية والخلافات المذهبية . فقد كانت الحرب

(١) الأب ابراهيم لوقا

مستعرة نارها بين اليهود والمسيحيين من جهة ، وكانت الفرق المبتدعة الخارجة عن النصرانية تتناوئ مع بعضها من جهة ثانية ، كما كانت الوثنية تنازع هاتين الديانتين — اليهودية والمسيحية من جهة ثالثة ، وكل من يطالع على تاريخ المهرطقات يقف متحيراً إزاء ما كان بين هذه الديانات والمذاهب من تطاحن وعداوة وبغضاء ، أشار إليها القرآن بقوله في سورة المائدة « فأغرينا بينهم العداوة إلى يوم القيامة ، فقد كانت كل فرقة تسكنت الأخرى وتكفرها ، ومن ثم جاء الإسلام بجانب الوثنية ويجاهد اليهودية ، ويؤاخذ المسيحية في مذاهبها المتنوعة التي كانت تتنافى تعاليمها مع العقيدة الصحيحة في الله تعالى منكر أعليهما ما كان يثير الجدل والنقاش حولها . فالإسلام إذن لا يعادى المسيحية ولا يقاومها ، ولكنه على العكس يسير معها جنباً إلى جنب ويحالفها في إشهار الحرب ضد الفرق المبتدعة ، (١) .

خلاصة القول أن القرآن لم يترك أي جانب في خلق الانسان إلا أوصى به وأورد أصوله . فالصبر والوفاء ودفع السيئة بالحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن حتى البيع والشراء والاقتصاد والقضاء ، بل

(١) هذا الرأي يتفق ورأى ومعظم العلماء المسلمين ، وفي ذلك يقول سيد أمير على صاحب كتاب « روح الإسلام » أنا إذا استثنينا عبدة الأبوته الالهية لم نجد خلافاً أساسياً بين المسيحية والإسلام فهما في جوهرهما دين واحد ، وكلاهما وليد القوى الروحية المتشابهة في الانسان ، فأولهما اجتجاج صارخ على المادية الصارمة السائدة بين اليهود والرومان ، وثانيهما ثورة على الوثنية العربية المتمهورة وعلى تقاليد العرب وأوابدهم .

تحية المسلم للناس والاستئذان في دخول مسكن ، وكل مايس حياة الانسان بالنسبة لربه أو نفسه أو غيره أو مجتمعه الصغير الذى يشمل فى أسرته ، والكبير الذى يشمل فى وطنه، والمجتمع العالمى العام، ويكفى أن يتدبر الانسان أى آية من آيات القرآن ليجد أن فيها دعوة هادفة إلى الخلق الحسن والحياة الكريمة .

لك أن تأخذ أى مبدأ من المبادئ التى جاء بها ، وأى حكم من أحكامه وأن تنتقل عبر الأزمان ، وأن تطوف به فى مختلف الأمم والشعوب ، فإن رأيت فيه بنوا عن الحياة ، أو مجافاة لطباع الناس ، أو تخلفاً عن مواطن الحب والفلاح لمن اعتقده وعمل به فلك أن تسمى الظن .

وهذا من للقرآن يدل دلالة واضحة على أنه إنما ينطق بالحق . ولا يلتفت إلى شئ وراءه من اعتبارات أخرى ولا يعمل حساباً إلا للحق وحده سواء كان ذلك مما يرضى الناس أو يسخطهم .

لو أن القرآن كان من عمل محمد ، أو من تدبير بشر ، لما كان مما يلتفت إليه أبدأ أن يركى السيد المسيح ووالدته العذراء مريم ويظهرهما ويرفع قدرهما إلى حيث لا يكاد يطاولهما أحد وأن يعرض من معجزات المسيح مالم يجرؤ اتباعه على الجهر به ، وكان أولى بالقرآن لو أنه كان من عمل بشر ، أو كان مما يمكن أن يدخل عليه مما ليس فيه ، كان من حسن السياسة والتدبير على مستوى البشر — أن يصمت القرآن ولا يقول شيئاً عما غفل عنه المسيحيون أنفسهم ، كان أولى بالقرآن — لو أنه من عمل بشر — ألا يضع فى يد الخصم سلاحاً ماضياً وهو يريد أن

يدخل معه فى معركة فاصلة فى شأن المسيح فلا يقول فيه هذا القول الذى يرفعه هو ووالدته العذراء مريم إلى هذه المنزلة الكريمة العالية ، وأن يدع مقولات اليهود واقتراءاتهم عليه وعلى والدته مريم تعمل عملها فى تلك المعركة .

لكن الذى وجدناه أن مع القرآن وبين يديه شواهد كثيرة نشهد بأنه من عند الله ، وأنه ليس لمحمد فيه إلا أنه الرسول المبلغ له امتثالاً لأمر الله فى قوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، (المائدة : ٦٧) ويأمره الله بأن يرد على الذين يقترحون عليه آيات بقوله تعالى « ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية ربه لئنما أنت منذر ولكل قوم هاد ، (الرعد : ٧) . ويقول أيضاً « قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى لى ، (يونس : ١٥) »

لو كان محمد ، هو صاحب هذا القرآن ، وكانت الرسالة التى حملها إلى الناس لحسابه خاصة ، ثم نسب ذلك إلى الله ، أو أية إلى جهة أخرى لكان ظالماً لنفسه أشد الظلم إذ بحسبها حقها وحرما هذا المجد العظيم للذى يؤهله لها هذا الكتاب العظيم الذى تحدى الإنس والجن وأعجزهم أن يأتوا بمثله ، ولكان من حق من يصدر عنه هذا الكتاب المعجز القاهر أن يكون فوق العالمين مستنداً إلى ذاته لا إلى قوة إلهية تسنده وتمده بهذا العمل المعجز ، ولكان له أن يدعى أنه إله فى الأرض يناظره احد ولا يلحق به أحد .

وبعبارة أخرى نقول : هب أن محمدًا، استوحى أصول دينه العظيم من الأرض لامن من السماء ، فإذا يستبعه هذا الغرض بما يصادم العقل والواقع ؟

النتيجة الغربية هو أن قرآنا بشرياً استطاع أن يقوم بدعوة لتوحيد الله في أسلوب من القول والتوجيه شأنه شأن الكتب السماوية السابقة . لكن « محمد » يعرف أين مكانه من ربه ، وأنه ليس إلا عبداً من عبيد ، أنعم عليه برسالة كريمة يدعو الناس إليها ويبلغهم ما أنزل الله ، وما جاء من ربه وربهم .

فالقول أن الكتاب من عند « محمد » دعوى باطلة يدفعها محمد لأنه لا يدعى ما ليس له ، ولأن أى بشر يدعى أن القرآن من عمله يفسح نفسه بما تنطق به آيات القرآن من إعجاز ليس فى مقدور بشر أن يقوم به ، ولأننا وجدنا مضمونها لا يختلف عما وجدناه فى الكتب السماوية من قبيل ، وفى كل مادعا إليه الرسل من قبل .

دعوة إلى كل خير وصلاح .

دعوة إلى الأخوة الإنسانية العامة فلا تفرقة بسبب الجنس أو اللون أو النسب .

دعوة إلى الحق والعدل وإشاعة الخير والبر .

دعوة للنظر فى الكون والانتفاع بما فيه والاقرار بموجبه .

دعوة المسلم فى أبر صورة وأكرم سبيل .

دعوة للحب والإيثار والشفقة والرحمة ومكارم الأخلاق .

دعوة لتهديب الفرد وتكامل الجماعة . وحب الانسان الانسان مع الكون بإرادته وعمله .

وقبل أن نختتم هذا الباب نود أن نلتقط بعض الثمرات الطيبة من آراء بعض العلماء الغربيين المنصفين فى حق القرآن دون أن نعرض لها بالشرح أو التعليق ، فهى فى ذاتها فى غنى عن الشرح والتعليق .

فما قاله « سيديو » فى كتابه « تاريخ العرب العام » فى حق القرآن قال : من شأن مبدأ التوحيد الجليل الذى نشر بين قوم وثنيين أن يضرم الحمية فى النفس العالية ، ويسود هذا المبدأ القرآن ، وإليه يعود لإيداعه ، ولا نجد فى القرآن صفحة لا توحى بمحبة شديدة لله . ويقول بعضهم أن القرآن ينكر حرية الانسان وإراداته ، وأن يحصر الانسان ضمن دائرة سلبية من عدم الاكتراث ، لما رثى من نص القرآن على أن الله يختار أصفياه من هذه الحياة الدنيا ، ولما كتب من نصر لمن يجب أن ينتصروا ومن هلاك لمن يجب أن يهلكوا فى المعارك ، ويستنبط بعضهم قول القرآن بعدم فائدة الفضيلة ، لما رثى من وضعه الايمان وصالح الاعمال فى مستوى واحد انيل ثواب الآخرة ونحن لانرى ذلك من الحق ، ونحن نرى أن محمداً يذهب فى القرآن إلى حرية الانسان وتأثير إرادته فى عمل الخير والشر . وفى القرآن حث كبير على الفضيلة ، ودعوة كبيرة إلى تبادل العواطف وحسن المقاصد والصفح عن الشتام .

وفى القرآن مقت شديد العجب والغضب ، وفيه إشارة إلى أن الذنوب

يأتي ببرهان من طبيعة خاصة يكون آية على صدق رسالة، وهذا البرهان يسمى بالمعجزة ، وهو يختلف عما يأتي به الأولياء ويسمى «كرامة» ، والقرآن هو معجزة محمد الوحيدة ، فان جماله الأدبي الفائق وقوته التوراتية لا يزالان إلى اليوم لغزاً لم يحل ، وهما يضعان من يتلوه ، ولو كان أقل الناس تقوى ، في حالة خاصة من الحاسة . لقد تحدى محمد الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، وهذا هو برهان رسالته بالمعنى الكامل ، ولم يكن الأمر في القرآن يتعلق بقيمة أدبية استثنائية فان محمداً كان يحتقر الشعراء ، ودفع عن نفسه أن يكون واحداً منهم ، ولكن الأمر يتعلق بشيء آخر غير هذه القيمة ، وهو الفرق بين وحي الإله وإلهام الشياطين .

٣ - أما «ديزيرييه بلاشيه» فيقول في وصف القرآن في كتابه «دراسات في تاريخ الأديان» ، كفي هذا القرآن مجداً وجلالاً إن الأربعة عشر قرناً التي مرت عليه لم تستطع أن تجحف أسلوبه ، بل لا يزال غضاً كأن عهده بالحياة «أمس» .

٤ - ويقول «جوستاف لوبون» في هذا الصدد ، إن القرآن وما اشتق منه هو إلى الفطرة بحيث يلتئم مع حاجات الشعب .

٥ - أما «جون كسنجلى بيرج» رئيس إدارة النشر لمجلس البعثات الأجنبية في المؤتمر السنوي الخامس الذي أقامه معهد الشرق الأوسط بواشنطن عام ١٩٥١ فقال : ونحن الغربيون يجب ألا نكون متسامحين فحسب ، بل مشفقين ومتفهمين أيضاً . وأنا أضع على حائط مكثي آية من القرآن ولدى كذلك حديث نبوي ، وأحب أن أتخير آيات أخرى

قد تكون بالفكر والنظر . وفي القرآن حض على الوفاء بالعهود حتى مع الكافرين وفي القرآن تحريض على خفض الجناح والتواضع ، وعلى استغفار الناس لمن يشيئون إليهم لا لعنهم .

ويكفي جميع الأقوال الجامعة المملوءة بحكمة ورشداً لإثبات قواعد الاخلاق ، وليس فيها ما يناقض ما جاء في الإنجيل ، بيد أنك لا تجد في القرآن ما في الإنجيل من التسليم الذي يفيد كثيراً عند الشدائد فترى محمد يأذن - يبين كثير من المتناقضات - في مقابلة السيئة بالسيئة كأن الناس لم يكونوا مستعدين لذلك قبل ذلك .

ومحمد حين كان يقول بمبدأ القصاص الذي رضى به اليهود مع ذلك يكون قد سائر أحكام زمانه وقومه ، وفي هذا إيضاح لمختلف الآراء التي أبداها بعض الناقدين حول القرآن ، ومن هؤلاء من جعلوا من ذلك مجموعة خدائع اختلطت بأرقى المبادئ ، ومن هؤلاء من لم ينظروا إلى ما كان يحيط بالنبي من ضروب العوائق التي تعوق سيره فلاموه على أعمال يرفضها عقله فلم يسمح بإبطال ما قطر عليه قومه من الخلق العاطفي والآهواء .

وما تقدم ترى أن القرآن أبصر كل شيء ، وأنه لم يهمل أمر في عمل محمد الديني أو المدني أو الحربي ، وترى السلطة الزمنية والسلطة الروحية قبضته رجل واحد ، ولا ترى سلسلة مراتب ولا طوائف كهنوتية ولا طبقات ذات امتيازات .

يقول «ديرمايخيم» في كتابه «حياة محمد» ، إن كل نبي يجب أن

من القرآن تحرك لدى الإلهام الديني ، ونحن محتاجون أن نتفهم الآيات القرآنية الجميلة ذات المعنى الديني العام الذي يلائم كل إنسان .

٦ - ويقول « اليكسى لوازون ، خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل الأخلاق ، وهو كتاب مقدس ، وليس من المسائل العلية المكتشفة حديثا أو المكتشفات الحديثة مسألة تعارض مع الاسس الاسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية .

٧ - أما « واشنطون ايرومنج ، فيقول : يحوى القرآن أسمى المبادئ وأكثرها فائدة وإخلاصا .

٨ - أما « جيمس تشلز منشتر ، فيقول في مقاله : لعل القرآن هو أكثر الكتب التي تقرأ في العالم ، وهو بكل تأكيد أكثرها حفظا وأشدّها أثرا في الحياة اليومية لمن يؤمن به ، فليس طويلا كالعهد القديم ، وهو مكتوب بأسلوب رفيع أقرب إلى الشعر منه إلى النثر ، ومن مزاياه أن القلوب تخشع عنه سماعه ، وتزداد إيمانا وسموا ، وأوزانه ومقاطعته كثيرا ما قورنت بدقات الطبول وإصداء الطبيعة والأغاني المعروفة في الجماعات القديمة .

٩ - أما « هنرى دى كاسترو ، فيقول « لو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه لكني ذلك أن يستولى على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب ولقد نزل على محمد دليلا على صدق رسالته ، وهو لا يزال إلى يومنا هذا سرا من الأسرار التي يتعذر فك طلاسمها ، ولن يسير غور هذا السر المكنون إلا من يصدق بأنه نزل من الله . »

١٠ - وأخيرا هاهو « جوهان ولفانج جوته ، كبير أدباء الألمان وشاعرهم الأعظم في فرانكفورت عام ١٧٧٢ م . يعكف على تلاوة القرآن في ترجمة ألمانية أنجزها يومئذ أحد أبناء بلده المستشرق العلامة « مرجلين ، حتى إذا فرغ منها عكف بعدها على تلاوة القرآن في ترجمة لاتينية سابقة لها طبعها في مدينة « بادو ، بإيطاليا القس الجزويتى « مارانشى ، Harracci عام ١٦٩٨ م .

وقد ظل « جوته ، طويلا يعم في دراسة القرآن إمعان الباحثين وهو يقول : إن القارئ الأجنبي يملأ لأول قراءته ، ولكن يعود فينجذب إليه ، وفي النهاية يروعه ويلزمه الأ كبار والاحلال ، ويستشهد « جوته ، في كلامه عن القرآن ، وما جاء به من تعاليم الدين بهذه الآيات « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للبتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . »

ويقول « جوته ، إن القرآن يردد قواعد هذه التعاليم ويكرر التبشير والذير سورة بعد سورة ، وهو لا يرى في هذا التردد والتكرار ما يراه النقاد الغربيون ، لأن محمد لم يرسل برسالة شاعر للتفنن في القول أو التنويع في ضروب الكلام ، وعرض الصور المزوقة من الاخيلة والاهام لاستحداث اللذة وإدخال الطرب ، بل هو بنص القرآن بعيدا عن هذا الوصف ، وإنما محمد نبي مرسل لغرض مقدر مرسوم يتوخى

إليه أبسط وسيلة وأقوم طريق ، وهذا الغرض هو إعلان الشريعة وجمع
الأمم حولها لينضوا تحت لوائها ، فالكتاب المنزل على محمد إنما بعث
به إلى الناس ليقتضيه القنوت والايان ، ومن ثم نراه إذا ما عرض
للقصص الديني لم يعرضه معرض التاريخ والأخبار ، بل يقتصر منه على
مكان الحكمة ومضرب الأمثال ، ومواضع الاعتبار كما أن تعاليمه عملية
ومطابقة للحاجات الفكرية .

هذه أمثلة من بعض الآراء في حق القرآن لعلماء من غير المسلمين
لم يكن لهم مطمع من وراء آرائهم هذه إلا إظهار الحق ، ونستطيع
أن نذكر الكثير منها لولا ضيق المجال ، وكلها جاءت تنطق بالحق ،
وكان القرآن لا يمكن أن يكون من صنع محمد ولا من صنع بشر تلقاه
عنه ، وقد سجل الله في القرآن نفسه عجز البشر عن الاتيان بمثله ،
وجابه المعرضين عنه بالعجز الدائم المستمر فقال « وإن كنتم في ريب
على عبدنا فآتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن
كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة أعدت للكافرين ، (البقرة ٢٣ / ٢٤) .

محمدٌ وهل هو من عند الله؟

ما قيل في حق القرآن قيل كذلك في حق صاحب الشريعة نفسه
فقد اتهموه بالكذب على الرغم من تيقنهم من صدقه واشتباره به بينهم
وقصة تالفيه بالأمين لا تخفى على أحد ، وزعموه متهاكاً على الله ،
وزعموه ساحراً ، إلى آخر هذا ، الاتهامات .

والآن دعونا ننظر في صفات صاحب الرسالة ومنهج، لنرى أبعاد
هذا المنهج ، ولنرى إن كان لهذه الاتهامات أى أساس من الصحة ، أما
إذا انضح لنا أنها غير صحيحة ، بل بالعكس إن الاخلاق الحسنة
ظهرت فيه أكمل ظهور ، كما شهد بذلك المخالفين ، فالمنطق والعدل يمتنان
أن تعترف به نبياً ورسولاً .

وشخصية كل إنسان هي السمات التي تظهر عليه في حياته وتبجلى في
أعماله ، وهي المميزات التي يمتاز بها عن غيره وينفرد بها دون سواه ،
وهي الخلائق الذاتية التي تجعله في إطار فريد يلفت النظر ويجذب
القلوب ويسترعى الاسماع .

ومحمد - كما شهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء كان المثل السامى في أخلاقه وتصرفاته وأفعاله ، وإن هذه الصفات كانت من أهم العوامل في سرعة استجابة الناس للدعوة ، التفوا حوله وأنسوا له ، واطمأنوا لبقائه ، وتغذوا بالحديث معه ، وما قاله المستشرق « سييل » في مقدمة ترجمته للقرآن في الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة عام ١٨٠٥ قال : إنه كان حسن الوجه ذكياً ، وكانت طريقتة مرضية ، وكان الاحسان إلى المساكين شيمته ، وكان يعامل الكل بالخلق الحسن ، وكان شجاعاً الأعداء ، وكان يعظم لإسم الله تعظيماً قوياً ، وكان يشدد على المفتريين والذين يرمون البراءة ، والزناة والقتلة وأهل الفضول والطامعين وشهود الزور تشديداً بليغاً ، وكان كثير الوعظ في الصبر والود والبر والاحسان وتعظيم الأبوين ! والكبار وتوفيرهم وتكريمهم ، وكان عابداً مرتاحاً في الغاية .

وإن وحدة المضمون والجوهر القائمة بين بعض الأحاديث وبعضها الآخر تكشف عن موكب عظيم من الاتجاهات التقدمية الراشدة في تعاليمه وتوجيهاته ونجد وثيقة باهرة من وثائق حقوق الانسان ، فإذا استطعنا - أولاً - أن نبصر وحدة المضمون هذه ، واستطعنا - ثانياً - أن نتبعها في جميع ما تولف بينها من نماذج وجدنا أنفسنا أمام القيم الانسانية الكبيرة وكأنها تكتب وتقدم القيم في أوضح مفاهيمها وأصدق خصائصها .

لقد ظهر بين قوم لا كتاب لهم ، ولا حكمة فيهم ، فقد كانت

العرب قبل ظهور محمد برسالته العامة قد انحدرت في جاهليتها إلى ساقه الامم ضللاً وجهلاً لا يفقهون من أمر الحياة شيئاً ، ولا يحسنون من العمل إلا الحروب والغارات واعتداء كل قبيلة على ما جاورها لسلب أموالها وسبي نساءها ، وكانت لهم عادات ذميمة وأفعال منكرة .

ولعل أصدق تصوير لحال العرب في الجاهلية هو ذلك الذي قرره جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي ملك الحبشة حينما سأله عن دين الإسلام والرسول محمد قال جعفر : « كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، كنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ويخلق ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصللة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، وصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله . فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فدعا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك ، (ابن الأثير ص ٦١ ج ٢) »

في هذا الجو الخائق ، والغيوم المكهفرة ، والضلالات والاباطيل والوثنيات ، أرسل محمد وأمر أن يبشر الناس بعبادة الله ، وتسفيه آراء الوثنية ، والشرك والبهتان ، ويخرج هؤلاء الناس مما هم فيه إلى حياة كريمة تتفق وكرامة الانسان ، وهذا ما حدا به - نوماس كارليل إلى أن يقول : قوم يضربون في الصحراء لا يعنى بهم عدة قرون ، فلما جاءهم النبي العربي صاروا قبلة الانظار في العلوم والمعارف ، وكثروا بعد أن كانوا قليلين ، وعزوا بعد أن كانوا أذلاء ، ولم يمض قرن بعد الإسلام حتى استضاءت أطراف الأرض بمقولهم وعلومهم .

ولم يقل للناس عندما ظهرت قوته أن رسالته جديدة في أصلها ، بل صرح في أقوال كثيرة أنه قد سبقه رجال غيره اصطفاهم الله لمثلها ، ولم يدع أن الدين الذي بعث به هو دين خاص له لم ينزل على أحد قبله ، بل قرر أنه دين الله الذي بعث به سائر الرسل لهداية الناس ، ولذلك أمر أن يجهر بهذه الآية ، قل ما كنت بدعا من الرسل ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم ، إن اتبع ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين ، (الأحقاف : ٩) .

وحد بين الأجناس والعناصر والألوان ، فدعا إلى إخوة بشرية عامة لا تفاضل فيها لاحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وهذا ما دعا دودلى ، إلى أن يقول : أكان في مقدور رجل - ما لم يكن ملهما - أن يأتي إلى الوجود بمثل هذه الإخوة العالمية .

هذه الدعوة ليست نظريات مجردة أو فلسفات منعزلة عن واقع

الحياة بل هي الحياة نفسها ممثلة في اتساق الانسان مع هذا الكون وعدم نفوره منه . هي دعوة بقدر ما حطمت من أصنام وأزالت من أوثان وأزالت من شرك ظاهر وخفي ، مكنت للحرية الانسانية في ظل مساواة فطرية مهذبة منشؤها أن الناس جميعا متممون إلى أصل واحد ، فلا معنى للتفاضل بأصل أو نسب ، مخلوقون لخائق واحد ، الجميع أمامه سواء وهو ربهم وهم عباده ، أقربهم إليه أبرهم بخلقه وأخلصهم لطاعته .

— حارب جميع العصبيات وأبطلها ، وحل المشكلات وجميع العقد النفسية وأزالها ووضع مكانها حب الخير والتعاون والرحمة والبر والشفقة ، وكان قلبه يخفق كلما رأى دليلا من دلائل الخير في الإنسان وللانسان ، وهو في هذا يقول : ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية .

— الحرية التامة في نشر دعوته ، فقد أمره الله في نشر دعوته أن يأخذوا بها أو يدعوها ، إذ لا يصح أن يكره على الإيمان برسالته ، أو أن يسيطر على أي إنسان وإنما عليه البلاغ بحسب ، ذلك أن الايمان لا يبني إلا على الاطمئنان القلبى والاقتناع العقلى ، ما على الرسول إلا البلاغ ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون .

— إنسانيته التي تجاوزت كل تخوم الذات وحدودها . تراها في أحاديثه ومواقفه ، وفيها ترى الانسان الخائق الذي لا تقلت من قلبه شاردة من آمال الناس وآلامهم إلا لبأها ورعاها وأعطائها من ذات نفسه كل اهتمام وتأيد .

اختلف مرة أبوذر الغفاري وعبد زنجي في حضرة محمد ، فاحتد أبو ذر
على العبد وقال له : يا ابن السوداء ، فغضب النبي وقال : طف
الصاغ ، طف الصاغ ، أى تجاوز الأمر حده . ليس لابن البيضاء على
ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح ، أى أن معيار التفاضل
هى الصفات النفسية والمزايا الروحية ، لا الألوان الجلدية ، فما كان من
أبي ذر الغفاري إلى أن وضع خده على الأرض وقال للأسود : قم
فطأ على خدى .

— يسأله يوماً أعرابي في بدواة جافة : يا محمد . هل هذا المال مال
الله أم مال أبيك ، ويتندر عمر بن الخطاب بسيفه يريد أن يجز عليه
فيرده النبي قائلاً : دعه يا عمر أن لصاحب الحق مقالاً .

— يأتيه رجل من الأعراب ليأبىه يوم الفتح الرهيب ، وهو في قمة
السلطان فتأخذ الأعرابي الرهبة بين يديه فيرتعد : فيعجب محمد ويقول له
في بساطة أخاذة ترد الطمأنينة إلى قلب الأعرابي : هون عليك ، لست
بملك . إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة .

— مرت عليه جنازة فوقف لها في خشوع ! فقال له أصحابه :
إنها جنازة يهودى ، فأجابهم . سبحان الله ، أليست نفساً .

— يدخل مكة ظافراً ، ويقف أمامه صاغرين جميع الذين شنوا عليه
الحرب والبغضاء ، ومثلوا بهمه حمزة ، ومضغوا كبده بوحشية ضارية
فيقول لهم : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فيقولون في ذلة وضعف : أخ كريم
وابن أخ كريم فيرد عليهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

— يجعل السرير على مشاكل الناس والسعى لحلها عبادة من أفضل
العبادات ويقول في هذا المقام : لأن أمشى مع أخ في حاجة ، أحب إلى
من أن أعتكف في مسجدي هذا شهراً .

— يدعوننا إلى التوبة دوماً ، لاننا على الدوام عرضة للزلل فيقول :
يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنى أتوب في اليوم
مائة مرة . .

— تتوالى أحاديثه داعية إلى الفضائل ونهاية عن الرذائل ، وهو
فى كل هذا يهدف إلى إقرار العدل والسلام بين الانسان ونفسه . لقد
لخص الدين فى كلمة واحدة فقال : الدين ... النصيحة .

— يحض على الرحمة ، ويتبع كل مواطن الحاجة إليها ، وكان
وهو يحيط بها من كل جانب يضع لها دستوراً وقانوناً : إرحموا من فى
الأرض يرحمكم من فى السماء ، وقال قائلاً : يا رسول الله . إنا نرحم
أزواجنا وذرياتنا ، فقال : ما هذا أريد ، إنما الرحمة للسكافة .

— يوصى بالجار ، رافعاً لحقوقه لواء لا ينبغى لاحد أن يتحداه :
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ويقول : خير
الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران خيرهم لجاره .

— كان يكره المظاهر المفتعلة ، ولا يجب للناس أن يراءوا بالأعمال
والاشكال ويعتبر المراءة شركاً ، وفى هذا يقول : إن الله لا ينظر الى
صوركم وأقوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

إن نوايانا تشكل أعمالنا وتوجهها ، والعمل مهما كانت ضخامته وخطره لا يكون جليلا ولا يكتب له الخلود والحق إلا بقدر ما تكون من النوايا التي أطلقتها جليله وصادقه ، وهذا ما يجعل للنفس الباطنة قيمتها ودورها . . . فالنفس الباطنة في جوهرها هي إرادة الخير بكل ما تمثله هذه الإرادة من صدق وإخبات .

إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . قاعدة ترتكز عليها وتنهض فوقها كل قيم الحياة ود بوصله ، تحدد وجهة السلوك وتميز خبثه من طيبه . فالاعمال - جميع الاعمال - لا تستمد قيمتها من شكلها الخارجى بل من ضميرها الخفى . ؟ لم يقل لكل امرئ ما عمل ، بل قال : لكل امرئ ما نوى ذلك أن أحلامنا ، لا أعمالنا هي التي تكشف بصورة أوضح عن جوهرنا وعن حقيقة أنفسنا الباطنة .

— دعا إلى مراعاة الأمانات ، والبعد عن الخيانات ، ونهى عن الحصول على غم دنوي دون وجه حق ، أو الاستيلاء على مال من غير جهد ومشقة وهو في هذا يقول : والذي نفس محمد بيده لا يكسب عبدا مالا حرام فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو المسيء بالمسوء ولكن يمحو المسوء بالحسنى . إن الحديث لا يمحو الحديث . — جاءه رجل وقال : يا رسول الله . دلني على عمل يقربني من الجنة ويبعدني عن النار فقال : اعتق النسمة (١) وفك الرقبة (٢) .

(١) النسمة في اللغة : الانسان .

(٢) فك الرقبة : أعفها .

وقد انعكست هذه الوصية وغيرها في الحقوق التي أعطاها الولاة والحلفاء اللبيد والرقيق وإشعارهم بأن لهم ما للإنسان من كرامة نفسية وحقوق إنسانية ، وأنه لا فرق بين أبيض وأسود من ذلك مثلا حينما جاء عمرو بن العاص إلى مصر أرسل إلى المقوقس (١) وفدأ برأسه عبد أسود يدعى عباد بن الصامت ، وهو من عظماء الصحابة المتفقيين في الدين للحدث مع المقوقس في شئون الصلح ، فخافه المقوقس لسواده وضخامة جسمه وقال : أبعثوا عنى هذا الأسود : وليتقدم غيره ليكلمنى فأجابوا . إن هذا أحسن رأيا وعلما ، وهو سيدنا وأفضلنا والمقدم علينا ونحن جميعا نسمع ما يقول ، ونعمل بما يرى ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره ، وأمرنا بطاعته فيما يرى وما يقول : فقال المقوقس . وكيف قبلتم أن يكون هذا الزنجى الأسود رئيساً عليكم وينبغى أن يكون هو دونكم ؟ فأجابوا . كلا - أنه - وإن كان أسود كما ترى - أفضلنا مكانه وأكثرنا حكمة وعلما . وليس نتكر السواد فينا . وعندئذ اذعن المقوقس لسامع أقواله وقبل شروطه .

من هنا نرى كيف أن الاسلام لم يفرق بين الابيض والاسود ولم يفرق بين لون وآخر ، وقضى على التفرقة العنصرية والرق والعبودية ، ونادى بالحرية . قال عمر بن العاص : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

— اليتيم والأرمل والمسكين أكثر الناس خوفا من المصير وأكثرهم

(١) المقوقس كان زعيما للاقباط في ذلك الحين .

حاجة إلى الحنان والأمن والرحمة : إن أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتم فيكرم ، ويقول أيضاً : والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ، والان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه .

— يرفع من منزلة العمل ويحط من الكسل والتواكل ، كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة قد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان سعيه وجلده في سبيل الله . فقال النبي لا تقولوا هذا فإنه وإن كان يسعى على نفسه ليكفها من المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفهم فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان .

— نهى عن ذكر العيوب والنقائص ، فإن الطعن في الأشخاص يجرح الصدور ويورث العداوات ، وهو لهذا يقول : طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس .

— يتصور العدل تصوراً فذاً ، وينزله أعلى مكانة حين لا يجعله فضيلة من فضائل البشر وجوهر ، بل قبل هذا خلقاً من أخلاق الله سبحانه فيقول حاكياً عن ربه : يقول الله تعالى : يا عبادي إني حرمت الظلم وجعلته محرماً عليكم فلا تظلموا .

— تأمله وهو ينصف الناس من نفسه ، ويعرض نفسه على رعيته فيصعد المنبر يخاطب الناس قائلاً ، أيها الناس . من كنت قد أخذت منه مالا فهذا مالي قلياًخذ منه ، ومن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتد

منه ، إن أحبكم إلى من كان له حق فأخذه وحلاني منه فلقيت ربي وأنا طيب النفس .

— نهى عن احتكار الآخرين وهو في هذا يقول : ألا أخبركم بشر عباد الله ، اللفظ المتكبر .

— دعا إلى المحبة الروحية والأخوة الإنسانية قائلاً لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

— والحب في حياته، وفي أحاديثه تجده قد اتسع لكل شيء وأحاطه لكل شيء . أحب الله وأحب الناس . وأحب كل شيء في كون الله الرحيب يدخل على ولده الحبيب إبراهيم ، وهو مسجى في فراش الموت ويتدفق حنانه غامراً فلا يزيد على أن يقول وعيناه تبكيان تدمع العين ويحزن القلب، ولا تقول ما يستخط الرب ، والذي نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا .

— عرض عليه الجاه والسودد وأرادوه ملكاً عليهم ، ولكن محمد صاح صيحته المشهورة ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهر الله أو أهلك دونه .

— كان يوصي دائماً بلهجة قاطعة قواد السرايا والبعوث إلى القبائل المعادية المغيرة بعدم التعرض للضعفاء ، لا تقتلوا إمرأ ولا وليداً ولا شيخاً ، ولا تحرقوا نخيلاً ولا زرعاً ولا تهدموا بناء .

— سهل لغير المسلمين من المسيحيين وغيرهم أن يعيشوا في أمان فقال ، من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة ، وسوى بينهم وبين المسلمين

في الحقوق والمعاملات الدنيوية ، وكانت نفوس غير المسلمين مطمئنة كل الاطمئنان .

ولا ينسى الخليفة هذه الاحاديث وهو يكتب وصاياه فيذكر الفاروق (١) بها عمرو بن العاص ويقول له في كتابه إليه ، إن معك أهل الذمة والعهد فاحذر يا عمر أن يكون رسول الله خصمك .

ولعل في الوثيقة التي أصدرها النبي إلى رهبان دير سانت كاترين لعل هذه الوثيقة لخير دليل على سماحة الاسلام وسمو مبادئه ، لقد كانت رسالة محمد بن عبد الله إلى رهبان الدير رسالة شامخة اشتهر أمرها في الناس ، وقد حرص الرسول على أن يعلى رسالته على ملا من الصحابة والتابعين رغبة منه في تأكيد حسن السياسة التي التزمها ، وأمرًا منه بأن يتبعوها في علاقاتهم مع أبناء الديانات الأخرى ، وبهذا كشف عن حقيقة الغاية التي تربط المسلمين بغيرهم من أبناء الديانات الأخرى ، وفيما يلي فقرات من هذه الوثيقة :

« هذا كتاب محمد بن عبد الله ، كتبه لمن هم على دينه ، عهدا لأولئك القوم الذين على دين النصرانية ، فتى كان راهب أو سائح مجتمعًا في جبل جيد أو واد أو مغارة أو كنيسة فنحن من ورائهم ، ولأن لاذب عنهم بنفسى والموالى وأنصارى وشعبى .

٢ — لا يهدم بيتا من بيوت كنائسهم ولا يدخل منها إلى بيوت المسلمين .

٣ — إذا تزوجت امرأه نصرانية بمسلم فلا يكون ذلك إلا برضا

(١) الفاروق كتابه من عمر بن الخطاب

تلك المرأة ، ولا تمتنع من الذهاب إن كنيستها لأجل الصلاة . مثل هذه الوثيقة وغيرها تعطينا فكرة واضحة عن سلوك الإسلام ودستوره الاصيل في توطيد مجال الامن ونزوعه إلى التعايش الدينى السليم حتى يشعر جميع الذين يعيشون تحت الراية الاسلامية أنهم أحرار به وعلى قدم المساواة ، وعلى الأخوة والتكامل الانسانى المشروع لم تكن هذه الحرية قولاً ، وإنما كانت حقيقة ثابتة مارسها الذين عاشوا في ظل الحكومات الإسلامية ، ذلك أن الصحابة والولاه الذين تولوا الحكم في البلاد التي فتحوها التزموا إلزاماً دقيقاً بهذه الوثيقة في معاملتهم مع المسيحيين . والتاريخ يفيض في الحديث عن صور التسامح والمساواة والعدالة . وعن أحداث لا زالت تنبض بالحياة في سجل التاريخ البشرى تنطق بعدالة الذين مارسوها ، وعدالة المنيع الذي استقوا منه هذه الفضائل وهي في نفس الوقت حجة على أولئك الذين يتهمون الإسلام بغير ما هو عليه . تدفع بالمسيحيين إلى تغيير موقفهم من هذا الدين وما يحول دون النظر لما جاء فيه .

— مر في يوم شديد الحر نحو بقيق الفرقد (١) فكان الناس يمشون خلفه ، فلما سمع صوت النعال ، وقرنى نفسه (٢) فجلس حتى قدمهم أمامه لئلا يقع في نفسه شيء من الكبر ،

لقد كان ينأى بنفسه عن المسام بالمظاهر التي قد يشتم منها معنى الكبرياء ، إذ إنه لما أحس بمشى أصحابه خلفه ، وهي عادة المتكبرين

(١) يقم الفرقد : مقبرة المدينة . والفرقد نوع من الاشجار .

(٢) وقر في نفسه : ثبت في نفسه .

جلس ينتظر لحاقهم به في يوم شديد الحر ، ليعلم للدنيا في امتدادها للطويل إن الإسلام هو دين المساواة الحقيقية ، وأن نبي الإسلام يرفض أن يتقدم الخطى على أصحابه حذراً من تسرب وهم الكبرياء إلى نفسه ، وليكون ذلك درساً خالداً للناس في علاقاتهم ببعضهم .

— حارب الجهل وجعل التعليم واجباً ، وفي هذا يقول : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ويقول أيضاً : من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم ،

هذا نهج رسول - لباب عمله العبادة والنسك ، ومع هذا فهو يعلن أن يضع خطوات يمشيها في حاجه محتاج أحب إليه وأذكى لديه من أن يعتكف في مسجده شهراً يقوم ليله ويصوم نهاره ، عاش مع الله ، وعاش مع المستويات الرفيعة التي خلق عندها رسل الله جميعاً ، وعاش مع القيم العليا التي آثرها على مناعم الدنيا وجاها وغرورها ، أنه لإنسان احتشدت خصائص الإنسانية وفضائلها في نفسه إحتشاداً بلغ الغاية في القوة والاتساق ثم هو إلى هذا رسول اختاره الله على علم وأمه بكل مزايا الاصطفاء .

وقبل أن تترك هذا الباب لا يسعفنا إلا أن نستعرض بعض الآراء التي قال بها مستشرقون ومفكرون عالميين في حق نبي الإسلام ،
١ - فما قاله «توماس كارليل» ، في حق نبي الإسلام : من العار أن يصنع إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً لم يكن على حق ، لقد أن لنا أن نحارب

هذه الادعاءات السخيفة المخجلة ، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سر اجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان للملايين كثيرة من الناس فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب أو خديعة مخادع ، ولو كان الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الزواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً وكان الأجدر بها ألا توجد .

وهل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يخلق ديناً يتعده بالنشر بهذه الصورة ؟ .

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء ، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس ؟ إلا فليعلم الناس إن التعاليم كأوراق البنكنوت ، فالصادقة منها تتداول بين الناس ولا تثير أقل شبهة ، والزائفة منها تخدع بعض الناس مرة أو مرتين ، ثم يفتضح أمرها وتعرف إنها زائفة فتمزق شر ممزق .

كان محمد مثلاً للإخلاص والوقوف بجانب الحق والعدالة في كل ما يفعله وكل ما يقول . وكل ما يفكر فيه ، كان دائم التفكير محباً للصمت لا يتكلم إلا إذا كان هناك ما يدعو إلى الكلام ، وإذا تكلم كان حكيماً في أقواله ، سديداً في آرائه ، مخلصاً للإخلاص كله ، يلقي النور على كل ما يعرض عليه من الأمور . كان رجلاً كريم الخلق ، قرى الإرادة

بتقاليدها الرفيعة ، ودفعه واقع باطنى قاهر إلى الخلو في ليلة طلعت فيها النجوم ، وهو يصنى إلى حديثها دون أن ينبس ببنت شفة .

لقد كانت حياته سجلا حافلا برسالة جلية الشأن لا يعادها في جلالها شيء ، أداها بكل نبل وإخلاص ، فنمخ الحياة في شعب غارق في سباته وجمع شتات القبائل المتنازعة فخلق منها أمة يمدوها إلى العمل تظنها إلى نعيم الأبد ، وجاء بشريعة عامة اجتمع فيها ما تفرق من أنوار الهداية التي نزلت على قلوب الأنبياء ، هذه هي الرسالة التي أداها وقد أداها بهمة وغيره لا تعرف الأناية .

ولقد آل الدين الذي دعا إلى التوحيد على شواطئ الجليل إلى عبادة الإله المتجسد ، أما نزيل حراء الذي ولد في أمة تأصلت فيها عبادة الأديان فقد استطاع أن يطبع في نفوس القوم الذي سمعوا صوته عقيدة التوحيد والمساواة بصورة لا تمحوها الأيام ، ونبه الأذهان بصيحته الديمقراطية إلى إعلان الثورة على طغيان الكهنة والحكام ، وحطم نظام الطبقات والامتيازات الخاصة ، في ذلك العالم الذي سادت فيه المذاهب المتنافرة ، والنظم الجائرة ، واشتدت فيه وطأة العقائد الباطلة على نفوس النشء ، وداس فيه أبواب المصالح المكتسبة على رقاب الناس ونفخ في العناكب التي نسجتها يد المصالح الذاتية في طريق الإلسان إلى الله نفخة واحدة فحيلها هباء مشورا وألغى كل امتياز وخصوصية في علاقة الإنسان بربه وأشاد هذا النبي الأسمى الذي بعثه الله لعامة البشر بقيمة العلم والمعرفة .

والعزيمة ، ولم يفكر في منفعة الشخصية ، كان يفكر في غير من الفقراء ، لم يكن مستبدا في أحكامه ، بل مثالا للمدالة في الحكم ، ينير الطريق لغيره ويرشد الضال ، وينشر المحبة بين الناس ، ولم يكن محبا لنفسه ، بل كان محبا لغيره أمينا في أداء رسالته .

وعلى ذلك فن الخطأ أن نعد محمد رجلا كاذبا ، متصنعا ، متذرعاً بالحيل والوسائل لعاية أو طمع ، والرسالة التي أداها ليست إلا الصدق والحق ، وما كلفته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول ، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع (١) .

ويقول « جونسون » في كتابه « الديانات الشرقية ، إن التجاوب الطبيعي بين نظرة محمد الواسعة إلى الذات الإلهية ، وبين الجو الفسيح الذي كان يندو ويروح فيه هو التفسير الوحيد لما استقبل به المشاهد الهائلة التي رآها من هدوء ورباطة جأش عجيبيين ، ثم يمضى قائلا : ليس بمستغرب أن تخرج أعظم قوة في ذلك العصر من فترات الجزيرة العربية التي كانت الامم حولها في مد وجزر ، فقد كانت الصحراء على الدوام هي المسكان التي انبعثت فيها صيحات الأنبياء الذين جاءوا من عند الله .

لقد أضفى السيد المسيح على الجزيرة العربية معنى رمزيا حين آوى إلى البرية لمناجاة ربه ، ولكن محمدا جعل هذا الرمز معنى حقيقيا ، فقد كانت الجزيرة العربية نفسها هي رجل الساعة ، وكان نبي الإسلام كلمتها الجامعة ، إذ أفضت الصحراء بذات صدرها إلى ابنها الفذ الذي تحمل

Haros and hero Warship: Tomas Carlyle (١)

ويخلص مؤلف كتاب «الديانات الشرقية» إلى القول بأنه بما لا شك فيه أن دعواته الدائمة لتحكيم العقل والوجدان ونظرته الديمقراطية الخاصة إلى الحكومة الدينية، وعموم رسالته، واعتقاده بأنه بشر، كل أولئك يدل على الفرق الشائع بين آرائه وآراء من تقدموه، والشبه الكبير بينها وبين آراء العالم الحديث، ثم إن تاريخ حياته ورسالته واضح لا تكتمفه الغموض، وشخصيته حقيقية لم تنسج من حولها قصة خيالية.

أما سير «وليام موير» فيقول في كتابه «حياة محمد»: «امتاز محمد بوضوح كلامه ويسرديته، وأنه أتم من الأعمال ما يدهش الأبواب فلم يشهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل «محمد» ولا عجب فمحمد صنع أمة مالا ذكرها التاريخ، وأحيا قوماً كانوا جفاة ليس لهم حظ من علم، صنع أمه فلا الأرض علماء ونورا وعرفانا وأدهشوا الأمم العريقة في الحضارة الراسخة القدم في العمران (١)».

ويقول اللورد (هندلي) أن رسالة محمد رسالة إلهية صادقة لا ريب فيها هدى للمتقين. أوصى الله بها إليه، فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراه مكملة لكتاب المسيح، كما كان محمداً إلى الرحمة والعدل والكرم والشجاعة والصبر على المكاره والصدق والأمانة، يعتقد أن الدين هو أقرب الأشياء إلى العقل وإلى الطبيعة، وأن الإنسان ما هو إلا مظهر

Life of Mohamed : Sir Tomas Hayer. (١)

من مظاهر الله، وكان غيوراً متحمساً وكانت غيرته وحماسه لغرض نبيل ومعنى سام، ولقد كانت تعاليم محمد قليلة وبسيطة، ولكنها أنتجت ثماراً عظيمة.

أما «أرنست رينان» فيقول في كتابه (تعليقات على تواريخ الأديان): «لقد دلتني تحرياتي العلمية والتاريخية على أنه لا صحة مطلقاً لما أريد إلصاقه بالنبي محمد من كذب وافتراء مصدرهما بعض الميانيات العرفية والعادات القومية التي أراد بعض المتحاملين أن يتوجهوا بها إلى الناحية التي تشفي سقام إذ هنتهم الوقحة وتعصبهم الذميم كقولهم: إنه كان يميل إلى التنسيد والسيطرة، مع أن محمداً وكما أثبتت الوثائق التاريخية وشهادات أكابر علماء التاريخ كان على العكس من ذلك بريئاً من روح الكبرياء متواضعاً أميناً لا يحمل الحقد لأحد، وكانت طباعه نبيلة، وقلبه طاهراً ورقيق الشعور».

والفيلسوف المؤرخ «لين بول» فيقول: «أن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق حتى أن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً عن غير ميل أو هوى، كيف لا وقد احتمل محمد عداة أهله وعشيرته أعواماً فلم يهن له عزم ولا ضعفت له قوة، وبلغ من نبلة إنه لم يكن في حياته البادية بسحب يده من يد مصافحه، حتى ولو كان المصافح طفلاً، وإنه لم يمر بجماعة يوماً — رجلاً كانوا أو أطفالاً — دون أن يقرأهم السلام وعلى

شفتيه لبنتسامة حلوة ، وفي فمه نغمة جميلة كانت تكنى وحدها لتسحر سامعها وتجذب القلوب إلى صاحبها جذبا .

والمستشرق و أميل دبير مانجيم ، كما كتب عن القرآن كتب أيضاً عن نبي الإسلام وقد سلك في الإسلام طريقا وسطا ، ووفق إلى كثير من الحقائق ، وما قاله في كتاب حياة محمد ، أن محمدا قد أبدى في أغلب حياته إعتدالا لافئاً للنظر ، فقد برهن في إنتصاره النهائي على عظمة نفسية قل أن يوجد لها مثال في التاريخ ، إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء ، والمسنين والأطفال والنساء وحذرهم أن يهدموا البيوت أو يسلبوا التجار أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة وأمرهم ألا يجردوا السيوف إلا في حالة الضرورة القاهرة ، بل لقد رأينا يؤنب بعض قواده ويصلح أخطاءهم لإصلاحاً ماديا ويقول لهم : إن نفساً واحدة خير من أكثر الفتوح ثراء .

إن الغنائم الحربية كانت في ذلك العهد النتيجة العامة لكل جهاد بل يمكن أن يقال . إنها كانت مع التجارة وتربية الحيوان هي الصناعة الوطنية العربية فأعلن محمد لإباحتها لاتباعه استجابة لضعفهم ولكنها حددها بقواعد دقيقة ، فخصص الجزء الأكبر منها للصدقات والحاجات الجيش ، وإذ قد حذر في قسم الأسرى إبعاد الأطفال عن أمهاتهم ، أنه لم يكن يستطيع أن يغير أخلاق شعبه تغييرا تاما ، ولكنه نجح في أن يقوم في نقاط كثيرة .

أنه شخصياً لم يكن إلا رجلا أميا خلوا من الثقافة تقريباً كجميع بني جلدته في عصره ، ولكنه كان يعلم أن لإله له رحيم رحمه لا حد لها

فأجهد نفسه في أن يعلو على الطبيعة البشرية ، وأن يقهر في نفسه الميول الانتزاعية . وهو في هذا يقول : كاد الحليم أن يكون نبياً .

بل يمكن أن تكون آلامه التي كان يعانيتها ناشئة من أنه لم يحقق الكمال الذي كان يبغيه . إن إخلاصه لا يمكن أن يكون في العصر الحاضر موضع شك ، فإن حياته كلها تشهد أنه كان يؤمن برسالته إيماناً عميقاً وأنه تقبلها — لا بغير بطوله — بل كعبء يجب عليه أن يتحمل أوزارها .

إن قوة عبقريته الانشائية واتساعها وذكاءه العظيم ، ونظره الصائب إلى الحقائق ، وسيادته لنفسه وقوة إرادته وحكمته واستعداده للعمل ، وحياته الواقعية . كل ذلك يجعل الزيف في مبدأ رسالته يستحيل القول به ، فكيف يتصور أن يتقلب كاذباً فجاء ذلك الذي نجاحه يظهر له كرهان ساطع على تأييد الإله لدعواه ! وكيف يمكن أن يجرؤ على تشويه رسالته في الوقت الذي كان يرى فيه إنها مقدسة مؤيدة من الإله .

هكذا نهض محمد ليدعو بني جنسه إلى دين واحد هو دين الإله الواحد ، ولبوخط جزءاً من آسيا وأفريقيا ، وليحرر من عبودية الجامدين كل الذين يفهمون رسالته الحقيقية ، ولكي يحرر بلاد فارس التي كان الناس يشتمونها ، ولينعش المسيحية الشرقية التي شوهدت المجادلات البيزنطية الخالية من الحماسة ، ومن الاعتقاد المجرد من الوحدة .

من هؤلاء المستشرقون أيضاً الكاتب الإنجليزي د. ه. ج. ويلز الذي قال : إن من أدفع الأدلة على صدق محمد ، كون أهله وأقرب الناس

إليه يؤمنون به ، فقد كانوا مطلعين على أسراره ، ولو شكوا في صدقه لما آمنوا به .

وقال فنلي د في كتابه ، «اليونان تحت حكم الرومان» : إن نجاح محمد كشرع بين أقدم الأمم وأثبت البلدان قدما في القانون مدى أجيالا طويلة في شتى نواحي الهيكل الاجتماعي دليل على أن هذا الرجل الخارق قد كون من مزيج من كفايات ممتازة .

والشاعر الفرنسي «الفونس لامارتين» الذي عرف بحبه للشرق وتعمقه في الدراسات الشرقية والإسلامية فيقول : إن حياة مثل حياة محمد ، وقوه كقوة تأمله وتفكيره وجهاده وثباته على خرافات أمته وجاهلية شعبه ، وبأسه في لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان وإيمانه بالظفر وإعلاء كلمته ، ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية ، إن كل ذلك أدله على أنه لم يكن يضمردا أو يعيش على باطل ، فهو فيلسوف وخطيب ورسول ومشرع وهادى الإنسان إلى العقل ، وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب ومؤسس دين لافرية فيه ولاصور ومنشئ عشرين دولة في الأرض ، وقائم دولة في السماء من ناحية الروح والنواد ، فأى رجل أدرك العظمة الإنسانية مثل ما أدرك ، وأى إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ .

والفيلسوف الروسي «تولستوى» له رأى أيضا ، فهو يقول : وخلاصة الديانة التي نادى بها محمد هي أن الله واحد لا إله إلا هو ، ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة ، وأن الله رحيم عادل ، وأن مصير

الإنسان النهائي متوقف على الإنسان نفسه ، فإذا سار حسب شريعة الله واثمر بأمره واجتنب نواهيه فإنه يظفر بالقوة في الحياة الدنيا ويؤتى أجرآ حسنا في الحياة الأخرى وإن كل شيء في هذه الدنيا زائل ولا يبقى إلا الله ذو الجلال ، وإنه بدون الإيمان بالله وإتمام وصاياه لا يمكن أن تكون حياة حقيقية وأن الله تعالى يأمر الناس بحبته ومحبة بعضهم ومحبة الله تكون في الصلاة ، ومحبة الناس في مشاركتهم في السراء والضراء ومساعدتهم ، والصفح عن زلاتهم ، إن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر يقتضى عليهم أن يبذلوا وسعهم لإبعاد كل ما من شأنه إثارة الشهوات النفسية والابتعاد أيضا عن المذات الأرضية ، وإنه يتحتم عليهم ألا يخدموا الجسد ويعبدوه ، بل يجب عليهم أن يخدموا الروح والجسد معاً ، و«محمد» لم يقل عن نفسه إنه نبي الله الوحيدة ، بل اعتقد أيضا بنبوه موسى والمسيح وقال : إن اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم ، وفي سنى دعوة «محمد» احتمل كثيراً من اضطهاد أصحاب الديانات القديمة شأن كل بنى مثله نادى أمته إلى الحق ، ولكن هذه الاضطهادات لم تكن عزمه ، بل ثابر على دعوته في قوة وثقة وإيمان لا مثيل له في التاريخ ، وبما لا ريب فيه أن النبي محمداً من أعظم الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمات جليلة ، ويكفيه فخراً إنه هدى مئات الملايين إلى نور الحق ، إلى السكينة والسلام ، وفتح للإنسانية طريقاً للحياة الروحية العالية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة وإلهاماً وعوناً من السماء .

والعالم الهندي د. ل. نوان ، يقول : تأملت أمر محمد فتمعجبت من هذا الرجل العظيم الذى نشأ بين هؤلاء القوم المختلى النظام ، والفاستدى الاخلاق ، العابدى الاحجار . هذا الرجل وقف تقريبا وحده شجاعاً ، متحديا غير هباب ولا وجل فى وجه التوهد بالقتل ، فمن أعطاه القوة التى قام بها ، كان بطلا من أبطال الاساطير ، ثم استمعوا لكلامه ، فمن أين جاء سحر بيانه ؟ ثم أنظروا إلى أعماله ، كيف ألف بين النبلاء والإشراف والصعاليك المنبوذين حتى صاروا إخوانا وخلانا ؟ فنحن هنا فى الهند إلى الآن لا نزال نقتل من أجل جواز لمس البعض البعض الآخر ، ولا نزال عاجزين عن إباحة الدخول إلى بيوت الآلهة للنبوذيين من أبناء جلدتنا فمن أين استمد « محمد » قوة حياته العالية ؟ الهند الآن مصابه بشرب الخمر ، والرجل « محمد » كما تقول الكتب أقترح مقاطعة الخمر وكل شراب مسكر ، فقسام أصحابه وألقوا دنان الخمر فى أزقة المدينة وحطموها تحطيماً .

لقد كان تصرف محمد فى قومه كالتنويم المغناطيسى ، فمن أين جاء سر هذه القوة . ؟

ألم تر أنهم كانوا أشتاتنا قد عمتهم الفوضى فألف بين قلوبهم وجعلهم أمة واحدة ، وكانوا راسخين فى التوجس فرفعهم وأنقدهم وجعلهم عظام أقوياء فى عين أمم الأرض كلها وصارت الأمة العربية صاحبة القيادة وصارت اللغة العربية آخذة بيمينها مصباح التهذيب والرقى .

إن هذه القوة العظيمة لمستمدة حقا من عالم الغيب الأزل الأبدى .

أما الفيلسوف « فيليب جيبس » فى كتابه « عظمة محمد » فيقول : لقد فعل الاسلام - ديانة محمد - للنهوض بالانسانية والمدنية ما لم تفعله أى ديانة أخرى منذ بداية الخليفة . وفى القرون الماضية الحامية ، وفى القرن الحالى قد اعتمدت مئات الملايين من الناس على الاسلام ، ولا يزال الاسلام قوة كبيرة يعتمدون عليها ، ولولا التعاليم الاسلامية المثالية العظيمة لعادت البشرية بلا ريب . إلى العصور الوحشية المظلمة .

ويقول الكاتب العالمى « برنارد شو » : كنت على الدوام أنزل ديانة محمد منزلة كبيرة من الإعزاز والإكبار لمظننه التى لا تنكر ، أننى أعتقد أن دين محمد هو الدين الوحيد الذى يناسب كل إنسان ويصلح لكل زمان ، ويتمشى مع كل بيئة فى هذا العالم ، وفى كل مرحلة من الحياة ، وأننى أتنبأ بأن محمد سيلقى القبول فى أوربا غداً ، كما يلقاه فيها الآن .

بما تقدم يتبين لنا أنه لو كان أمر الدعوة الاسلامية إلى « محمد » ، لما سلك بها هذا المسلك ، ولما سار بها على هذا النهج الذى سارت فيه ولكن لها مذاهب وطرق أخرى تسير فيها حيث تبدو أقرب إلى منطق العقل ، ولإلى داعى الواقع .

لو كان أمر الدعوة الاسلامية إلى محمد لجا إلى قومه من أول الأمر بدين عربى خالص يأخذ شريعته من عادات الأمة العربية وتقاليدها دون أن يلجأ إلى أهل الكتاب يزكى شريعتهم ، ويفرق بينهم وبين قومه المشركين الأمر الذى يباعد بينه وبينهم بما يشير فيهم عن دواعى العصبية

ونوازع الغيرة والحمية ، إذ كانوا يرون أنهم سادة الجزيرة العربية ، وليس لأهل الكتاب في محيطهم شأن ، ولا لوجودهم حساب عندهم .

لو كان أمر الدعوة الإسلامية من عمل محمد ، وتدبيره ، أكان يلقي قومه من أول دعوته بهذا الموقف الحاد الذي جعل شقة الخلاف بينه وبينهم على هذا الوضع الذي ثارت به نائرة قريش ، والذي استقبل به المسلمون في ضعفهم وقلة عددهم ما استقبلوا به من بلاء واضطهاد حتى أخرجوا من ديارهم ، وفارقوا أهلهم وأوطانهم فرارا بدينهم وطلباً للنجاة من الهلاك المحيط بهم . أكان من الحكمة والندبر أن تدخل الدعوة الإسلامية على قريش هذا المدخل الذي تواجه فيه باطلهم مواجهة صريحة متجدية فاضحة لهذا الباطل ، مسفهة لتلك العقول التي تقيم وجودها على علمية وتغتذى منه ، ثم تعود هذه الدعوة بعد أن تدفع الباطل وتهزمه هزيمة منكرة فاضحة تعود إلى مهادنته وملاطفته ، وتلتقي بهؤلاء المبطلين بعد أن تخلوا عن باطلهم فتردهم إليه وتقيم لهم شريعة منه ؟ أذلك بما يقبله عقل ويسوغه منطق ، وإذن فقيم كان هذا الصراع المرير بين النبي وقومه ، ولماذا كان هذا الاصرار الراسخ منه على موقفه منهم ومن معبوداتهم وعاداتهم حتى تقطعت بينه وبينهم الأرحام وتمزق الشمل .

لو كانت الدعوة الإسلامية من عمل محمد وحسابه لكان له من تلك الانتصارات التي حققها الدعوة ، والتي وضعت الجزيرة العربية كلها بين يديه ، لكان له من ذلك عائدة تعود عليه ، شأن كل مغامر أو فاتح أو زعيم ، ولكان له من ذلك السلطان المتمكن من مظاهره المادية كلها

فيعيش عيش الملوك والقيصرة ويحف به النعيم ، وتحتشد له الحشد هو الحزم . ولكن محمد ، عاش إلى آخر أيامه في هذه الدنيا عيش الكفاف ، فما شبع من طعام قط ، ودرعه مرهون عند يهودى .

كان يركب الحمار عربياً ليس عليه شيء . ويحصف النعل ، ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول : من رغب عن سنننى فليس منى .

كان لا يأكل وحده ، كان يأكل مع خادمه .

كان إذا تغدى لم يتعش ، وإذا تعشى لم يتغذ ،

كان لا يجد من الدقل (أردأ التمر) ما يملأ بطنه .

كان يشد صلبه بالحجر من الغرث (الجوع) .

كان إذا جاءه مال لم يبتته ولم يقبله ، أى لم يمسكه إلى الليل أو الظهر بل بفرقه في وقته .

كان أخف الناس صلاة على الناس ، وأطول الناس صلاة لنفسه .

كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضى له حاجته .

كان يجلس مع الفقراء ويمشى خلف الجنائز .

كان يمنع أهله (أزواجه) لبس الخلية والحريير .

كان يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض ، ويجب دعوة المملوك من خبز الشعير .

كان لا يدعوه أحد إلا قال : لبيك :

أفهدا العزوف عن الدنيا ، وذلك التعفف عن الجاه والسلطان فيها

يكون من إنسان قام بدعوة لحسابه ، وبذل لها أعز ما عنده وأغلى ما يملك
وضحى في سبيل ذلك بالاحباب والاهزاء من أهله ؟

أذلك يكون إلا إذا وقع لحساب المبدأ أو العقيدة ، وفي سبيل الحق
الذى قامت عليه السموات والأرض ؟ إن ذلك هو سبيل الراشدين من
دعاة الإصلاح وأنصار المثل العليا .

— كأنشهد — ولن يستكثر على محمد كما تشهد سيرته — وكما سجل التاريخ
أن يكون في مقدمة هذا الركب الكريم من أنبياء الله ورسوله الكرام .
لقد بذر الإسلام بذوره الأولى في أفقر مكان وأجد به ، وفي أقصى
قلوب وأصلدها ، وفي أظلم عقول وأضلها ؟ ثم لم يمض جيل من أجيال
الناس حتى أثمر هذا البذر . أطيب ثمرات الإنسان وأكرمها ، فخرج في
جيل واحد من العلماء والفقهاء والساسة والقادة أعداد وفيرة يصلح كل
فرد منها أن يكون قائم ركب الحياة كلها إلى مواطن الخير والفلاح .

لقد استطاع هذا الدين أن يجمع شتات أمة فرقها الظلم الاجتماعى ،
وألقت بها في الجاهلية القبلية ، في أودية سحيقة من المنازعات
والمشاحنات ، تثار الحروب لاتفه الأسباب وتسفك الدماء بغير حق
دستورها في حياتها : أنصر أهلك ظالماً أو مظلوماً . بمعناها الجاهلى
وهو التعصب للقرىب ولو كان ظالماً — سلوكها في حمايتها وأد البنات
مخافة العار أو الفقر .

قبائل متطاحنة في جزيرة العرب ، يأكل بعضها بعضاً ، وهى تذل
أمام حجر تصنعه أو صنم تعبده ، فإذا فعل هذا النبي في هذه البيته التى

يعد انتصاره فيها معجزة من معجزاته ، وآية من آياته ؟ حول النفوس
من نزعة قبلية إلى فطرة إنسانية ، ومن فرقة جاهلية إلى وحدة إسلامية ،
ومن سفك الدماء إلى تقدير لحرمتها ، ومن تفاخر بالآباء إلى تفاضل
بالأعمال وتحول دستورها : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً إلى معنى
آخر ، معنى الضرب على يد الظالم ، ولو كان أخاً أو أباً أو صديقاً
أو عدواً .

لم تكن مبادئ الإسلام هذه في أمة من الأمم ، أو في شعب من
الشعوب ، بل كانت في الإنسان من حيث هو إنسان ، في قريش كما
في الفرس والروم والحبشة ، فجمعت بيلال الحبشى مع عمر القرشى مع
صبيب الرومى ، ليقم من ذلك شاهداً على أنه دين الإنسان من حيث
هو إنسان ، مجرداً من الجنس واللون والموطن .

ذلك هو الإسلام أفليس من العدوان على الحق ، والتضييع للخير أن
تسكدر موارد هذا المورد العذب ، أو تعمى سبله ، وتطمس معالمه ،
ويضل الناس عنه ، ويحال بينهم وبينه بتلك الأراجيف وهذه المبطلات !
ثم هذا بنى الإسلام ، ماذا جمع من أموال وحصل على ذهب وفضة
يقول « ميلتون » أطلقوا رياح جميع العقائد والأفكار لتعدو على
وجه الأرض ، ولتكن الحقيقة في المعركة فإننا بحظرنا لها وتحكمتنا فيها
نرتكب إثماً ونصنع أذى كبيراً .

دعوها تتصارع مع الكذب ، فهل رأى أحدكم الحقيقة يوماً قد
خسرت قضيتها في صراع جر مكشوف ؟ !

أفاحسب في المخادعين والكذابين والمضللين من يرد كل هذه الدنيا التي وضعت بين يديه ؟ وماذا ينبغي المخاتل بختله والكذاب بكذبه والمنافق بنفاقه ؟ وماذا يريد هؤلاء إلا أن يفيدوا مالا أو يحصلوا ثراء ، ولقد عرفت الدنيا كيف كان طعام محمد ، وكيف كان لباسه وكيف كان مأواه وفرشه .

أما ما خلفه وراءه من طعام الدنيا فلا شيء إلا درعاً مرهونة عند يهودى في قوته وقوت أهله .

ثم كان أن حسم الأمر جميعه فيما فرض على ورثته من بعده ألا يرثوا شيئاً من ممتلكاته — إن ترك وراءه ما يورث — فقال : نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركناه فهو صدقة ، وهنا برهن على أنه ليس لأهله وإنما هو للسلين ، حياته لهم وموته لهم ، وكفاحه من أجلهم ، دون هدف ذاتى أو منفعة خاصة .

فلن كان هذا الجهاد الذى جاهد ، وهذا الضر الذى وجد ، وهذا الأذى الذى احتمل ، أنه لله وفى سبيل الله ، والحق الذى بين يديه ، وفى سبيل الأمانه التى حملته السماء لإياها وكلفته أداءها إلى الناس جميعاً . ولو لم يكن محمد ، نبياً ، أفما كان من حقه على الإنسانية كإنسان أن يكرم وأن يمجّد ، وأن تكون سيرته فى مسمع الحياة وبصرها آية للتوسمين ، ودرساً للدارسين ، وقدوة للمقتدين . لهذه المعاني الكريمة التى اشتمل عليها ، ولهذا المثل العليا التى عاش بها ، ولهذا السمو الروحى الذى خلق فيه .

فأى خير فى الدنيا ، وأى صلاح يرجى إذا كان حظ العاملين المخلصين الشرفاء الاطهار أن يلقوا من الناس إنكاراً وجموداً وأن يكون فى الناس من يلقى لهم الاكاذيب ويزيف عليهم الاباطيل ومع هذا فإن الخير هو خير حيث كان ، وأن الكلمة الطيبة لاتسقط أبداً . إنها كالشجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

وقد وفى الله سبحانه ، محمد ، أجره وأجزله العطاء ، ويمكن دعوته فى الحياة ، وجمع قلوب الملايين من الناس على حبه والولاء له جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أن هناك آيات لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير في أن القادم من نسل
اسماعيل هو النبي المنتظر . وسنحاول هنا أن نعرض لآلام هذه البشارات
تاركين الكلمة الأخيرة للقارىء .

في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية في الترجمة العربية
المطبوعة عام ١٨٤٤ قوله : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من
ساعير وتلألأ من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطنان في يمينه سنة من
نار (١) . فجيئه من سيناء أعطاه النوراء لموسى ، وإشراقه من ساعير
لإعطائه الإنجيل للمسيح ، واستعلائه من جبل فاران لإنزاله القرآن
على محمد أما كيف تستدل على أن فاران هي الأرض التي سكنها اسماعيل
جد الرسول . الدليل على هذا في التوراة ، فالتوراة تقول أن هاجر كانت
جارية لسارة ، ثم صارت زوجة لإبراهيم لإنجاب نسل له ، وظنت
سارة أن مهمة هاجر أن تنجب نسلاً مع بقائها جارية تسخرها كيفما
شئت ، وأنجبت هاجر لابناً لإبراهيم ، وكان هذا الإبن قرّة عينها وبهجة
قلبها ، ولكن سيدتها حاولت إذلالها فاستجارت بزوجها إبراهيم ،
لكنه تركها لسيدتها بقوله لها : هوذا جاريتك فاشتدت بها إيلاماً وإيذاءً
حتى هربت ترجو النجاة بما ألم بها ، فقابلها ملاك الرب في الطريق

(١) ساغرة مدينة على بعد كيلو ونصف من مدينة بيت لحم وتسمى حالياً «بيت
ساجر» أي مدينة الرعاة ، وفيها ظهرت الملائكة للرعاة يبشرون بمولد السيد
المسيح وبها كنيسة محفورة في الصخر تحت الأوس تسمى كنيسة الرعاة ، أما فاران
فهي برية بن ثلاثة جبال بمكة هي : أبو فؤس وقيمان وجبل حراء وفيها سكن
اسماعيل .

هل بشرت الأناجيل بمحمد؟

لم يختلف الناس قدر اختلافهم حول طبيعة المسيح ، منهم من يرى
أنه الله ، ومنهم من يرى أنه ليس إلا رسولا جاء ليحقق إرادة الله
وينادي بما نادى به جميع الرسل ، والعجيب في الأمر أن كلا الفريقين
يتخذ من الآيات التي جاءت على لسان السيد المسيح في الأناجيل الأربعة
حجة يدل بها على صدق دعواه .

وكما اختلفوا حول هذا الموضوع ، اختلفوا أيضاً حول بعض الآيات
التي وردت في الكتاب المقدس والتي تبشر بمجيء « مسيا » (١) آخر
غير المسيح . فريق يرى أن هذا الـ « مسيا » الآخر هو محمد بن عبد الله ،
وقريق يقول أنه لاصلة بين هذه الآيات وبين بني الإسلام .

ولقد قمت بدوري بمحاولة تلمس الحقيقة في هذين الرأيين متمسكا بمبدأ
الحيدة ، متجنباً النزعة التزمتية ، مستهدفاً الحقيقة أياً كانت ، وقد انتهيت
إلى ما وجدت أنه حق وأنه صواب ، وهو أنه على فرض أن هناك
آيات ليس المقصود بها البشارة بمجيء « محمد » فإنه مما لا يحتمل الشك

(١) مسيا كلمة آرامية بمعنى رسول .

وقال لها ، مالك يا هاجر ، شدى يدك به لاني سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القرية وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في برية فازان وكان ينمو رامي قوس ، واختارت له أمه زوجة من أرض مصر .

يتضح من التوزاة إذن أن الذي سكن فاران هو إسماعيل ،

« في الآية العشرين ، الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين وعد الله في حق إسماعيل بن إبراهيم بقوله : وعلى إسماعيل استجبت لك ، هوذا أباركه . وأكثره جدا فسيلد اثني عشر رئيساً وأجعله لشعب كبير ، »

وفي قوله اجعله لشعب كبير يشير إلى محمد ، لأنه لم يكن في أولاد إسماعيل من كان لشعب كبير غيره ، ثم يأتي دور تعزية الله لسيدنا إبراهيم عندما رأى ابنه البكر إسماعيل مطروداً أمام عينيه من وجه عبودية سارة بقوله . وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك ، (تكوين ٢١ : ١٣) .

هذا إذن هو إسماعيل جد محمد ، وهذا هو وعد الله في العهد القديم فلاك الله يقول لهاجر : وكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة ، »

جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية قوله : قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا ، سرف أقيم لهم نبياً مثلك من بين أخوتهم واجعل كلامي في فمهم ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ومن لم يطع كلامه الذي يكلم به بأسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك .

فقوله سأقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم . أي قال الله لموسى أنه

أنه يرسل نبياً من بني إسماعيل وهم إخوة بني إسرائيل حيث هم من بني إسحق أخى إسماعيل . وقوله (مثلك) أي بشرية ذات المبدأ والمعاد والمعاملات ما يلائم عصره وإلى الأبد ، ولم يأت بعد موسى نبي ما يشبهه بشريته من بني إسحق وإسماعيل إلا محمد . وقوله (واجعل كلامي في فمهم) لأنه أمة لا يعلم الكتابة ولا يعرف الحروف قراءة .

٤ - في كلام النبي أشعيا في أصحاح ٢١ يقول « وحى من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين (١) هاتوا الماء للملافة العطشان ياسكان أرض تيماء (٢) . وافو الهارب بنجر فانهم من أمام السيوف قد هربوا من أمام السيف المسلول ، ومن أمام القوى المشدود ومن أمام شدة الحرب (٣) هكذا قال المسين مدة كسنة الأجيال يعني كل مجد قيذار (٤) وبقية عدو قسى بني قيذار تنعال (٥) لأن الرب إله إسرائيل .

- في كلام النبي أشعيا في الإصحاح الثاني والأربعين قوله : هو ذا الأوليات قد أتت ، والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تثبت أعلمكم بها ، سبحوا للرب تسبيحة جديدة ، تسبيحة من أقاصي الأرض أيها

(١) اد . اد . اد . أحد أجداد النبي محمد .

(٢) تيماء . قبيلة عربية بني تميم من آل إسماعيل .

(٣) إشارة إلى هجرة النبي محمد .

(٤) قيذار . أحد أجداد النبي محمد .

(٥) تنعال . تعرف وتزداد قوة .

حم لإشارة إلى حال العرب حيث أنهم كانوا غير واقفين على أحكام الله ،
وكانوا يعبدون الأصنام ، وكانوا مصابين بداء وهو أنواع الرسوم
القييحة الجاهلية . وقوله : لا أخذهم . إشارة إلى كون أمته أمة رحيمة
وإلى تأييد شريعته ، وقوله : دوالمثوكلون على المنحوتة القائلين للمسبوكه
أنكم آهتنا ليخزون خزيًا ، وعدبان عابدى الأصنام والاثوان يحصل
لحم الخزي والهزيمة التامة وقد وفى الله بما وعد ، ودخل محمد مكة
فكسر أصنامها صائحًا قائلاً : جاء الحق وذهق الباطل إن الباطل كان
زورًا :

— فى الاصحاح الرابع والخمسين من كتاب أشعيا قوله : سبحى
أيتها العاقر التى لم تلد . أنشدى بالحد وهلمى التى لم تمنخص من أجل أن
الكثيرين من بنى الوحشة أفضل من بنى ذات بعل قال الرب ، أوسعى
موضع خمينتك وسرادق مضاربك ابسطى ، طولى جبالك وثبتي
أقدامك ، لأنك تنغذين يمنه ويسره وزرعك يرث الأرض ويعمر المدين
الخرية ، لا تخافى لأنك لا تخزين ولا تنجلين فانك لا تستحين من
أجل أن خرى صباك تنسينه وعار ترمك لا تذكرين أيضا ، فانه يتولى
عليك الذى صنعك رب الجنود اسمه ، وفاديك قدوس لإسرائيل إله
جميع الأرض يدعى إنما الرب دعاك مثل إلا مرأة المطلقة والخزينة الروح
وزوجه منذ الصبا مردوله قال إلهك الساعة فى قليل تركتك وبرحات
عظيمة أجمعتك فى ساعة الغضب أخضيت قليلا وجهى عنك وبالرحمة الأبدية
رحمتك قال فاديك الرب ، الجبال ترتجف والتلال تنزل ورحمتى لا تزول

المنحدرون فى البحر وماؤه والجزائر وسكانها ، لترفع البرية ومدنها
صوتها فى البيوت التى سكنها قيذار ، سبحوا ياسكان سالع من رؤوس
الجبال ليهتفوا ، ليخطوا للرب كرامة ومجدآ ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر
الرب كجبار يخرج مثل رجل حروب . ينهض غيرته يهتف ويصرخ
ويقوى على أعدائه . قد صمت مثل النهر سكت تجلدت ، كالوالدة أصبح
أنفح وأخر ممأ ، أضرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل
الأنهار جزائر والبحيرات أجفنها ، وأقود العمى فى طريق لم يعرفوها ،
أجعل الظلمة أمامهم نوراً والصعب سهلا ، هذا الكلام صنعته لهم .
لا أخذهم ، ارتدوا إلى الورا ، يخزي خزيا المتكلمون على المنحوتة ،
القائلون للمسبوكه أنكم آهتنا .

التسبيحة الجديدة ها هنا هى عبارة عن النهج الجديد التى هى فى
الشريعة المحمدية وتميمها فى مشارق الأرض ومغاربها إشارة إلى
عموم نبوته ، ولفظ قيذار ، أقوى إشارة إليه لأنه من أولاد قيذار
ابن إسماعيل .

وقوله من رؤوس الجبال يصيحون إشارة إلى العبادة المخصوصة
التي تؤدى أيام الحج يصيح ألوف من الناس د لبيك اللهم لبيك ،
وقوله : ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر إشارة إلى الآذان يخبر به الملايين
فى أقطار العالم فى الاوقات الخمس بالجهر . وقوله : الرب كجبار يخرج
مثل رجل مقاتل يهوش الغير يشير إلى مضمون الجهاد إشارة حسنة بأن
جهاده وجهاد تابعيه يكون لله ويأمره خاليا من حظوظ الهوى النفسية ،

هناك وعهد سلامي ، لا يتركك قال رحيمك الرب : فقبره مستأصلة
بعاصف بلا تمزية ، ها أنذا ابني بالاسمد حجارتك وأوسلك بالسفير ،
واجعل أبوابك حجارة منقوشة وجميع تخومك حجارة كريمة ، ها أنذا
خلقت الحداد الذي ينفخ الفمخ في النار جمرأ ويخرج إناء لعلمه وأناخلقت
المهلك ليخرب (٣ - ٧) .

والمقصود بالعاقر هنا في الآية الأولى هي مكة ، لأنه لم يظهر فيها
نبي بعد إسماعيل ، ولم ينزل فيها وحى بعكس أورشليم التي ظهر فيها
أنبياء كثيرون وكثر فيها نزول الوحي . و د بنو الوحشة . عبارة عن
أولاد هاجر لأنها كانت بمنزلة المطلقة المنبوذة المطرودة من البيت
ساكنة للبراري ، ولذلك وقع في حق إسماعيل في وعد الله لها جر قوله :
[هذا سيكون إنساناً وحشياً ، كما جاء ذلك في الباب السادس عشر من
سفر التكوين . و د بنو ذات بعل ، عبارة عن أولاد سارة مخاطبة
الله مكة آمراً لها بالتسبيح والتهليل وإنشاد الشكر من أجل أن الكثيرين
من أولادها صاروا أفضل من أولاد سارة وقد وفي الله بما وعد وأرسل
د محمداً ، من نسل إسماعيل . وهو المقصود بالصائغ الذي ينفخ في النار
جمرأ ، وهو المهلك الذي خلق لإهلاك المشركين وعابدي الأصنام .

— في سنة ٧٠١ قبل الميلاد . وفي أرض النبي في بابل تنبأ أشعيا
بمجيء محمد . يقول : قومي اسذبري لأنه جاء نورك ومجد الرب أشرق
عليك لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم ، أما
عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى قدسيرا الأمم في نورك ، والملوك

حتى ضياء لإشراقك ، ارفع عينيك حوايك وانظري قد اجتمعوا كلهم
« جاءوا اليك ، يأتي بنوك من بعيد ، وتحمل بناتك على الأيدي حينئذ
تنظرين وتبينين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول اليك ثروة البحر ،
ويأتي اليك غنى الأمم ، تعطيك كثرة الجمال بكران مديان دعيته كلها
تأتي من شيتا تحمل ذهباً ولبانا وتبشر بتسايبح الرب وكل غنم قيدار
تجتمع اليك وكياش بنايوت تخدمك . تصعد اليك مقبوله على مذبحي
وازين يدت جمالي ، (٦٠ : ١ - ٧) .

جاء في سفر التكوين في الاصحاح الخامس والعشرين في نسب
إسماعيل قوله . وهن أسماء بنى إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم .
بنايوت بكر إسماعيل وقيدار واويثيل وأيسام . . اثني عشر رئيساً
حسب قبائلهم . كما يزداد الآن وضوحاً عند ذكر هذه الرموز في الآية
مثل « كثرة الجمال ، و د غنم قيدار ، و د كياش بنايوت ، .

— بشرى حزقيال النبي من بنى إسرائيل : « إن الذي يظهر من
البادية كالسكرمة أخرجت ثمارها وأغصانها عن مياه كثيرة ، وتفرعت
حسنا أغصان مشرقة على أغصان الأكار والسادات . وبقيت فلم تلبث
تلك السكرمة قلعت بالسخطة ، وضربها على الأرض فأخرجت ثمارها
وأنت نارها فأكلتها ، فكذلك غرس في البدو في الأرض المهملة المعطلة
المعطشى ، في أرض غير ذي زرع ، وخرج أعضائه القاضلة ناراً
فأكلت ثمار تلك السكرمة حتى لم يبق منها عصا قوية ، ولا قضيب بأمر
السلطان .

والمقصود بالبادية والأرض العطشى جزيرة العرب وأرض الحجاز
أما المقصود ، لم يبق منها عصا قوية ، إشارة إلى العقائد التي كانت
سائدة في الحجاز والتي جاء الإسلام وقضى عليها .

— في الأصحاح السابع من انجيل متى يقول السيد المسيح : احترزوا
من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل
ذئاب خاطفة ، من ثمارهم تعرفونهم ، هل يجتنون من الشوك عنبا أو
من الحسك تينا . هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة ، أما
الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة ، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع
ثمراً رديئة ، ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة ، كل شجرة
لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار فإذا من ثمارهم تعرفونهم .
لم يقل السيد المسيح احترزوا من الأنبياء ، فيكون التقرير قاطعاً
بأنه لم يعد هناك أنبياء بعده ، ثم أخبر بأن نمتحن الأنبياء من ثمارهم
فكان هناك أنبياء سنعرفهم من ثمارهم الرديئة وغيرهم من ثمارهم الجيدة ،
وهذه بشارة بأن بعده سيكون أنبياء ونعرفهم من ثمارهم .

والقول بقيام أنبياء كذبه بعد المسيح لا يمنع من البحث الموضوعي
الأمين في دعاوى الرسالات بعد المسيح حتى يتبين الصادق من الكاذب ،
والصحيح من الزائف ! فالمسيح قد تكلم عن جاءوا قبله ، فوصف بعضهم
بأنهم سراق ولصوص ، ولا يعني هذا طبعاً خلوا الزمان قبله من النبوات
الصادقة الصحيحة .

وما أدق من ميزان ذلك الذي نصبه المسيح ليفرق بين الأدعياء

والأصلاء . والسارق لا يأق إلا ليسرق ويذبح ويهلك ، وأما أنا فقد
أتيت لتسكون لهم حياة ، وليكون لهم أفضل ... والراعي الصالح يبذل
نفسه عن الخراف ، أما الذي هو أجير وليس راعياً الذي ليست
الخراف له فيرى الذئب مقبلاً ويترك الخراف .

والمسلمون يرحبون بهذا الميزان ، لتعرض عليه سيرة نبيهم
ورسالتهم .

بوسع المنصف أولاً أن يبحث البحث الجاد في حقيقة الإسلام ،
فليس من دين يصد أهله عن البحث وانظر ...

وبوسع المنصف أخيراً أن يعتبر محمداً داعية خير ورشاد - إن لم
يعتبروه نبياً مرسلًا ، يؤكد أساس الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، ويدعو
لمكارم الأخلاق ، ويقدم شريعة لا تنتكز لأصل من أصول الشرائع
الإلهية ، ولا لمبدأ استقام أمام الفكر الإنساني .

— في الفصل العاشر من أعمال ارسل جاء على لسان بطرس الرسول
ففتح بطرس فاه وقال الحقيقة قد علمت أن الله لا يحابي الوجوه ، ولكن
في كل أمة من اتقاه وعمل الخير يكون مقبولاً عنده : (٣٤ - ٣٥) .
ولعل ما ذكرناه من المبادئ التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية
والتطبيقات العملية لهذه المبادئ في شتى المعاملات خير دليل على أن هذا
الدين من عند الله .

هناك بشارات أخرى غير معتمدة عند المسيحيين في الوقت الحاضر

مثل إنجيل برنابا (١) الذي يتحدث صراحة عن مجيء محمد .
أما عن مضمون هذا الإنجيل فهو أنه مثل سائر الأناجيل الأربعة
لكنه يختلف عنها في أنه يعترف صراحة بأن السيد المسيح رسول مثل
غيره من الرسل ، ويعترف بوحداية الله ، وأن هناك مسيا ، آخر
سيأتي بعد صعود المسيح هو محمد بن عبد الله .

الإرهاصات بالنبي محمد

أما إذا انتقلنا إلى الأشخاص الذين . تولوا التبشير بمجىء محمد نجد
حدهم الكثير نذكر منهم على وجه الخصوص د بجزيرا . الراهب الذي كان
من أعظم من تولى تبشير الناس أن نبياً من بنى اسماعيل حان له أن
يبحث بالاسم والصفات وحدد له مكان المطلق والمهجر ، ولم يكن من
التوراة الاصلية أن تخفى أو تنكر ، ولا من شأن رهبان الصوامع أن
يضلوا أو يحسدوا ، لأن الله هو الذي قال الكلمة في التوراة ، ولأن
القسيسين والرهبان لا يجحدون ولا يستكبرون .

ولا قدرة لقلوبنا — نحن الآن — ولا لعقولنا أن نحس أو نتصور
مقدار الهداية في قلب د بجزيرا ، النسطوري حين رأى د محمداً ، وهو
في ظل شجرة قرب صومته على طريق د بصرى ، كما لا يستطيع أن نقدر
هذا الفوز في الدراسة والذي أصبح إلى نهاية خلدأ لاسم د بجزيرا ، الراهب
ودلالة صدق ونبل خلقه حين أوصى أبا طالب أن يعود بابن أخيه
حنانياً من بصرى إلى أرض العرب خوفاً من اليهود ثم كان ما دل عليه
بجزيرا صدقاً وعدلاً .

(١) اتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل كانت نسخة
مكتوبة باللغة الإيطالية عشر ملياً « كرمير » أحد مستشارى ملك بروسيا عام ١٧٠٩
وقد اتت الذخعة مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة ١٨٢٨ إلى البلاط الملكي
بفيينا . وكانت تلك النسخة هي الأصل لكل نسخ هذا الإنجيل في اللغات التي ترجم
إليها . وقد آلت بعد ذلك إلى راهب لاثون يدعى « فرامينو » وهو يقس قصتها
ليقول أنه عثر على رسائل لايريانوس وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس الرسول
ويستند في تنديده على إنجيل برنابا فدفعه حب الاستطلاع إلى البحث عن إنجيل
برنابا هذا وقد توصل إلى مبتغاه لما صار أحد المقربين إلى البابا د سكيش
الحامس . فقد عثر على ذلك الإنجيل في مكتبة هذا البابا .

هناك أيضاً ورقة بن نوفل الراهب المسيحي الذي عرف عنه أنه ممن درسوا المسيحية دراسة عميقة ، بل أنه نقل بعض الاناجيل الاربعة إلى العربية ، وكان هو ابن عم خديجة التي ذهبت لتخبره بما حدث لزوجها محمد في الغار ، وأنه جاءه ملك يقول له : اقرأ ، ولما سمع ورقة بن نوفل هذا منها أطرق ملياً وقال : قدوس قدوس .. والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى . وأنه لنبي هذه الامة ، فقولي له فليثبت . ولقي ورقة محمدا يطوف الكعبة بعد ذلك فقال له قوله المشهور : والذي نفسى بيده ، أنك لنبي هذه الامة . ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرنا يعله ، وقبل رأسه وانصرف .

وهناك عبد الله بن سلام ، وكان جبراً عالماً قال : لما سمعت بمحمد عرفت صفته وإسمه وزمانه الذي كنا نتوقع له ، فكنت مسراً لذلك ، صامتاً عليه حتى قدم النبي المدينة ، فلما نزل بفضاء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدمه ، فلما سمعت الخبر كبرت ، فقالت عمتي لـ حين سمعت تكبيرى : خبيك الله . والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت على ذلك . فقلت لها : أى عمه أهو والله أخو موسى ابن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به ، فقالت : أى ابن أخى أهو النبي الذي كنا نجد أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ فقلت لها : نعم ثم جئت رسول الله وقلت له . يا رسول الله أن يهود قوم باطل ، وأنى أحب أن تدخلنى في بعض بيوتك وتعيينى عنهم ، ثم تسألهم عنى حتى يخبروك

كيف أنا فيهم ، فأدخلنى الرسول في بعض بيوته ودخلوا ثم قال لهم : أى رجل الحصين بنى سلام فيكم؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا وجدنا وعالمنا ، فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله أنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة بإسمه وصفته ، وأنى أشهد أنه رسول الله وأصدقه وأعرفه .

• وسلمان الفارسي ، أحد هؤلاء الذين جهدوا في البحث عن الحقيقة ولد بفارس من أبوين مجوسيين ، في بيت أحد الدهاقين (حكام القرى) وعاش يرفل في الحرير ، ويملا الذهب جيوبه ، وتملا العبيد قصر أبيه ولكن ما إن شب عن الطوق حتى بدأ يساوره الشك في أمر النار (آله وإله آباءه وأجداده . فالنار التي تصير إلى رماد لا يمكن أن تكون لها . . . إن الإله نور لا ينطفىء أبداً) .

• رأى سلمان أباه مرة يجلد أحد عبيده فحاول منعه وصرخ فيه . يا أبتاه أنى أحس لفتح السوط على ظهري ، فكانت القطيعة بينه وبين أبيه . . . وشك الفتى في أن يكون هذا هو الانسان الذي يتخيله فإنسانه الذي يمشى في غيخته يساويه في كل شيء . . . ند وأخ له .

• وانطلق سلمان من داره مختلفاً وراءه المال والجاه والسلطان .. ليبحث عن حقيقة نفسه ، ليبحث عن الله ، وعن الإنسان .

وخرج لا يلقى على شيء... اتصل بالنصارى واعتنق المسيحية قبل ظهور الإسلام. وتعرف عليه أحد الرهبان الأتقياء في «عموريه»، وعاش معه يكسبان من كد أيديهما، ينسجان على النول ويبيعان ما ينسجانه... حتى إذا أحضرت الراهب الوفاة همس في أذن «سلمان»، بكلماته الأخيرة. نحن في انتظار دين جديد يتمم الأديان السابقة ويكون خاتمتها، أي نبي «و الله لا أعلم اليوم أحدا من الناس على ما مثل ما كنا عليه حتى أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أطل زمان نبي يبعث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب، وهجرته إلى أرض بين خريبتين بينهما نخل، وبه علامات لا نخفي، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كنفه خاتم النبوة (١) فإن استطعت أن تلحق به في تلك البلاد فافعل»، ويمضى سلمان في طريقه، فيقع أسيراً في يد اليهود، ويصير عبداً لهم، ويذوق مرارة العبودية، لكنهم لا يستطيعون أن ينالوا من قوة روحه وإيمانه حتى يلقى النبي ويحضر معه غزوة الخندق التي أشار «سلمان» فيها على النبي بحفر الخندق الذي انتصر بسببه المسلمون.

وفي عهد عمر يعود سلمان إلى بلاده فارس فاتحاً يصحبه سعد بن أبي وقاص ويوليه عمر أمر المدائن التي كان يحكمها كسرى ملك الفرس وعاش «سلمان»، خلال (ولايته) يأكل من نسيج الصوف والخص ويزرع راتبه على فقراء المسلمين، محذراً الفاتحين، من الزخارف التي أسقطت أمبراطورية كسرى.

(١) كان بين كنفه قطعة ناتئة على شكل نقاعة.

دين الله واحد

الوطن العربي بحدوده الحالية كان ولا يزال المناخ الديني المنقطع النظير، ففي هذا الوطن هبط الوحي أكثر من مرة، وفي أكثر من بقعة، وفي أرض هذا الوطن بنت كل إيمان تعرف أسماءهم من الأنبياء والمرسلين.

وفي هذا الوطن انتشرت الأديان السماوية جميعها إلى كافة بقاع العالم ودان بها الكثيرون من سكان المعمورة.

ولسنا نعرف في التاريخ وحياً هبط، أو نبياً نبت، أو رسولا بعث في غير هذه الأرض العربية.

ففي هذه الأرض الطيبة غرست أشجار جميع الأديان، فتمت وترعرعت وأثمرت وأنتأ كلها.

وفي أعماق هذه الأرض امتدت جذور هذه الأديان، وأصبحت من القوة والصلابة بحيث لا تززعها النكبات، ولا تآق عليها الأعاصير. ومن ربوع هذا الوطن خرج المؤمنون بالأديان السماوية يضربون

في الأرض ويبشرون لهذه الأديان ، وينشرون في الناس قيماً دينية خالده
هي قيم الحق والعدل ، وقيم المحبة والسلام .

وفي أرجائه ، وبين جنبانه ، تعايشت الأديان الكبرى الثلاثة :
اليهودية والمسيحية والإسلام ، تعايشت لما بينها من روابط قوية متينة
تجعلها في جانب ، وبقية الأديان الأخرى في جانب .

هذه الروابط القوية تنبت من وحدة الأصل ، ووحدة الهدف ،
والتقارب القوي في الكثير من بعض الطقوس والعادات .

والقرآن الكريم قد وقف من هذه المسائل موقفاً تتجلى فيه نظرتان ،
نظرة مثالية تتعايش فيها الأديان الثلاثة من حيث هي عقائد ، ونظرة
عملية يتعايش في إطار منها المعتنقون لهذه الأديان الثلاثة .

فن حيث المصدر يمضي القرآن على أن الأديان الساهوية جميعاً قد
صدرت عن الذات الإلهية ، فإله سبحانه وتعالى هو الذي يبعث الأنبياء ،
ويرسل الرسل مبشرين منذرين .

هو الذي ينزل الكتب لإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

وهو الذي يرسل الرسل ليعلموا الناس الكتاب والحكمة .

وهو الذي يفعل كل ذلك من أجل تحقيق الحياة الأفضل للجنس
البشري والارتقاء به من مستوى حضاري إلى مستوى حضاري آخر .

هذه الوحدة في المصدر ، وهذه الوحدة في الهدف ، وهذا التابع
الزمني في بعثة الأنبياء والمرسلين ، وهذه الخطوات المرحلية في سلم الارتقاء

للحضاري كانت لها ظواهر اجتماعية هي بها وسجلها القرآن : يقول تعالى :
وشرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا
به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .

ونشر من هذه الآية بأن دين الله واحد . وبأن شرع الله واحد ،
وأن ما وصى به جميع الأنبياء ، وأن هناك أصولاً واحدة في هذه الأديان
جميعاً ، وأن هذه الوحدة في الأصول قد صدرت عن له حق تشريع
الأديان وهو الله (١) .

يقول الله تعالى مخاطباً محمد : ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها .
كما يقول : لقد جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .

ولشعر نحن من هذه الآيات أن هناك إختلافاً في هذه الشرائع ،
فلكل نبي شريعة ومنهاج .

والحقيقة في المسألة أن هناك نوعين من العناصر الدينية ، نوعاً
ثابتاً مستقراً يوجد في كل الأديان ، ونوعاً يتناوله التغيير والتجديد ويختلف
فيما بين الأديان .

(١) هذا الرأي يتفق ورأي معظم العلماء المسلمين . يقول : سيد أمير على
صاحب كتاب روح الإسلام : أننا إذا استثنينا عقيدة الأبوة الإلهية ، لم نجد خلافاً
أساسياً بين المسيحية والإسلام ، فهما في جوهرهما دين واحد وكلاماً ولید القوى
الروحية المتشابهة في الإنسانية ، فأولهما احتجاج صارخ على المادة الصارمة السائدة
بين اليهود والرومان ، وثانيهما ثورة على الوثنية العربية المنهورة ، وعلى تقاليد
المرء وأوابدهم .

والنوع الثابت المستقر هو الذى يتعلق بالذات الإلهية وبالغيبيات
التي لا يعلمها إلا الله .

والنوع الثانى هو الذى يتعلق بالإنسان ويتغير بتغير الإنسان ، وهو
الذى من أجله وضعت القاعدة الأصولية الذاهبة إلى أن الأحكام تتغير
بتغير الأديان .

والعناصر الثابتة هي التي تشير إليها الآية القرآنية : إن الذين آمنوا
والذين هادوا ، والنصارى والصائبين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل
صالحاً ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . .

ويتعلق صاحب تفسير المنار على هذه الآية بقوله :
الآية صريحة في أن أصول دين الله على السنة جميع رسله هذه الثلاثة
الإيمان بالله .

الإيمان باليوم الآخر وما فيه من جراء .

العمل الصالح .

فثمرة الإيمان منوطة بهذه الثلاثة .

أما العناصر المتغيرة فتمثل لها بالعبادات الدينية ، وبالتحليل والتحرير
الدينى ، من حيث أنها تختلف في دين عنها في آخر ، وذلك لأنها مرتبطة
دائماً وأبدأ بالإنسان .

والقرآن الكريم قد دعا إلى تعايش سلمى بين هذه الأديان ، تعايش
سلمى يقضى على التنازع وعلى الفرقة والانقسام .

فهو أولاً يطلب إلى المسلمين أن يؤمنوا بجميع الأنبياء .

والمرسلين وألا يفرقوا في هذا الإيمان بين رسول ورسول .

يقول الله : قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل موسى
وهيسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وهيسى ،
وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون ،
وهو ثانياً يطلب إلى النبي أن يعرض على أهل الكتاب موقفاً يلتقى
فيه الطرفان ، وترتفع فيه الخصومة ويتحقق بمقتضاه السلام .

يقول الله تعالى موجهاً النبي إلى هذا الموقف : قل : يا أهل الكتاب ،
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به
شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . .

غير أن هذه الدعوة القرآنية لم تلق آذانا صاغية من أهل الكتاب ،
فقد بقوا على ما هم عليه من عدوان للنبي ، ومن عداوة بعضهم لبعض .

إن اليهود لم يؤمنوا بالمسيح ، كما لم يؤمنوا بمحمد ، وكانوا يقولون
فيما حكى القرآن فيهم : ليست النصارى على شيء ، كما كان النصارى يقولون
فيهم أيضاً ، ليست اليهود على شيء ، ويعجب القرآن من موقف كل من
الأخر حين يقول في كلا الطرفين وهم يتلون الكتاب ا

وأن المسيحيين لم يؤمنوا بمحمد .

أما المسلمون فطالبنون — كما ذكرنا — بالإيمان بجميع الرسل

ولا يفرقون في ذلك بين للرسل .

والقرآن قد حدد موقف كل من اليهود والنصارى من نبي الإسلام
ومن المسلمين ، لقد جعل عداوة اليهود هي العداوة الأولى ، وقدمها في

الذكر على عداوة المشركين . وجعل النصرارى أقرب الطوائف الدينية إلى المسلمين ، وعلل لذلك بما فى قلوبهم من مودة ورحمة .

وعادى القرآن اليهود من أجل معاداة اليهود للعذراء مريم وللسيد المسيح ذلك أن اليهود لم يعترفوا بميلاد السيد المسيح ولم يقبلوه ، بل اعتبروه ولادة غير شرعية . والقرآن الكريم هو وحده الذى تولى الدفاع عن المسيح ، وكشف الشبه عن شخصه الكريم ، ووضع المقام المحمود والجدير به ، وقد ذكر ذلك القرآن فى أكثر من موضع منه أن المسيح تكلم فى المهد ، وذلك ليكون آية على طهر أمه وعفافها وبراءة عرضها من أن يعلق به شيء مما تلوكه الألسن ، وتوسوس به الظنون . فى البشارة الأولى التى تلقفتها مريم من السماء يكشف لها الوحى عن وجه هذا الغلام الذى ستلده العذراء . هذا الميلاد العجيب : إذ قالت الملائكة يا مريم ، إن الله يبشرك بكلمة منه لإسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيهاً فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين ، (آل عمران ٤٥ - ٤٦) .

وحين تم ما أراد الله لها وجاءها المخاض ، ووجدت نفسها أمام الأمر الواقع قالت : ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ، فتأداها من تحتها ألا تحزنى ، قد جعل ربك تحتك سرياً ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلى واشربى وقرى عيننا ، فإما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرت للرحمن صوماً ، فإن أكلهم اليوم إنسياً . فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، يا أخت هارون .

ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغياً ، فأشارت إليه اقلوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبياً ، قال إني عبد الله ، أتانى الكتاب وجعلنى نبياً ، وجعلنى مباركاً أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراً بالذنى ، ولم يجعلنى جباراً شقياً ، والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حياً ، !

فى هذا الموقف المتأزم جاءت المعجزة لتواجه القوم ، ولتخرس الألسنة المتطاوله ، ولتأخذ على المنقولين كل سبيل ، فهذا الذى ولد بغير أب قد نطق فى المهد وتكلم فى حال لا يتكلم فيها مثله فكان هذا الكلام فى المهد معجزة خارقة تتلاقى مع معجزة المولد من غير أب ، فأشارت إليه اقلوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبياً ، قال : إني عبد الله . أتانى الكتاب ... وجعلنى نبياً .

وكلام المسيح هنا واضح صريح على شاكلة ما يتكلم قومه ، واللغة التى يتعاملون بها ، ففهموا عنه ما قال ، ولم يكن ذلك محتاجاً إلى تأويل أو تخمين .

وبما قاله القرآن أيضاً : قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ورسولاً إلى بنى إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون خيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمة والأبرص ، وأحي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم (آل عمران ٤٩) .

هذه بعض الآيات التي ذكرها القرآن في شأن المسيح ، فهو يرفع قدره ويملي شأنه في العالمين إلى حيث لا يطاولها أحد ، ويزكيه ووالدته العذراء مريم ، ودفع عنه وعنهما كل دنس ورجس يلحق بمولده الطهور ، المبرأ من كل تهمة ، فهو كلبه الله وروح منه ، وهذا ما حدا بالاستاذ جوفري بارندر ، إلى أن يقول في كتابه المسيح في القرآن : « إن المسيح يرد ذكره دائماً في القرآن مقروناً بالاحترام ، ولا نجد أى أثر لنقد ، ولا عجب في ذلك فإنه مسيح الله » .

وهناك قول يدل على قيمة المسيح وعظمته في الإسلام ، فقد قيل للنبي أن عيسى بن مريم كان يمشى على الماء ، فقال النبي : لو ازدادوا يقيناً لمشى على الهواء .

ويحكى لنا التاريخ قصة تدل على هذا الاجلال . يقول ابن هشام : إن المسلمين الأول لما هاجروا إلى الحبشة بأمر الرسول محمد ، وأرادت قريش استرداد هؤلاء المسلمين أرسلت الداهية عمرو بن العاص ، وكان لم يدخل الإسلام بعد : فحاول هذه الداهية أن يوقع بين المسلمين وبين النجاشي امبراطور الحبشة المسيحي فقال له : إن هؤلاء المسلمين يقولون في مريم قولاً عظيماً (مشينا) فاستدعاهم النجاشي وسألهم رأى الإسلام في عيسى ابن مريم ، فلما سمعها النجاشي بكى حتى اخضلت لحيتيه وبكى أسافقته (ابن هشام جزء ١ صفحة ٢١٣) .

يقول الله تعالى : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا . اليهود

والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون .

والواضح من هذه الآية أن القيم الدينية والتربية الدينية هي التي أملت على اتباع المسيح هذا الموقف أنهم لا يستكبرون ، ومن هنا يكونون أقرب إلى المسالمة ، لأن الكبر غير موجود حتى يدفعهم إلى موقف العداوة ، وهم أيضا أقرب إلى فكرة التعايش السلمي الذي يهدف أصلا إلى تحقيق المسالمة .

وللأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده موقف من هذه الآية يلخصه فيما يلي : أن النبي عليه السلام قد رأى هو ومن معه مودة من النصارى ، ولم تقم بينه وبينهم حروب ، وعلى العكس من ذلك اليهود الذين كادوا للنبي ووضعوا له السم في الطعام وحاربوه .

إن النزاع بين النبي عليه السلام واليهود كان بسبب عدم التزام اليهود بالعهود والمواثيق ا فهم قوم لا يعرفون الالتزام الاخلاقي والالتزام العقائدي .

وأن الخطوات المرحلية في التطور الحضارى تجعل المسيحيين أقرب إلى المسلمين .

كان المصلحون من الأنبياء يتعاهدون أهلها زمنا بعد زمن بالإصلاح المعنوي كالمبات مزامير داود ، وأدبيات حكم سليمان حتى لا تغلب على القوم المادة وتفسد الماثرة .

ثم جاء مصلح إسرائيل الأعظم - المسيح - فيقضى ما كانوا عليه من ذلك بدعوتهم إلى تقيضه أو ضده .

فقابل مبالغتهم في المادية بالمباغة في الروحية .

ومبالغتهم في الأثرة بالمباغة في الإيثار وإنكار الذات .

ومبالغتهم في الجود على ظواهر الشريعة بالمباغة في النظر إلى مقاصدها .

كره لإلهم السيادة والغنى، وذم التمتع بنعيم الدنيا، وأمر بمحبة الأعداء .
كان ذلك كله تمهيداً لإكمال دين الله بإرسال محمد عليه السلام .

فمن لم يؤثر فيهم لإصلاح المسيح بين اليهود ظلوا على جمودهم وأثرتهم وعصبيتهم وكانوا أشد عداوة للنبي العربي ومن آمن به .

كان المسيحيون ممن آثر فيهم لإصلاح المسيح وكان منهم القسيسون والرهبان .

ومن أجل هذا كانوا أقرب مودة وصدق منهم قوله : وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق .
ولفيلسوف الشرق جمال الدين الأفغانى رأى أيضاً في هذا الموضوع لا يحق لنا تجاهله .

كان غرض جمال الدين الاسمى في حياته أن يعيش أهل الأرض في صفاء ، لا بغضاء بينهم ولا شحناء ، ومن قوله في ذلك :

رجعت لأهل الأرض ، وبحث في أهم ما فيه يختلفون فوجدته

(الدين) فأخذت الأديان الثلاثة وبحث فيها بحثاً دقيقاً مجرداً من كل تقليد ، منصرفاً عن كل تقييد ، مطلقاً للعقل سراحه .

فوجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان ، أن الأديان الثلاثة ، الموسوية ، والعيسوية ، والمحمدية على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية ، وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية، وإذا تقدم العهد على الخلق وتمادوا في الطغيان ، أو أساءت الكهان فهم الناموس ، أو أنقصوا من جوهره ، أتاهم رسول يرفاه وتأييد فأكل لهم ما أنقصوه ، وأتم بذاته ما أهملوه .

وعلى هذا فلا يمكن أن يكون قصد الله إلا واحداً ومشيشته إلا واحدة ، وكتب الوحي وما أنزل على الرسل لا بد أن تكون متفقة في القصد والغاية ، ولا يصح التباين في جوهرها ، ولا أن يخالف بعضها بعضاً .

فلننظر إلى الأمر الرئيسى الذى جاء في التوراة في أمر العبادة - وما أراد الله من عباده هناك - فنرى أن الله قد نادى موسى من جانب الطور وكله قائلاً : إني أنا الله ، لا رب سواى ، فاعبدنى ، أنت وبنى إسرائيل .

ومختصر ما ورد فيها : أن طاعة الله وعبادته ، والعمل بما يبلغه الرسول ، كل ذلك له في الآخرة ثواب وسعادة سرمدية ، فضلاً عن حاجة الدنيا .

ثم لننظر ما جاء في الإنجيل ، وما قاله المسيح فنرى أنه قال بامعناه :

أعطيتني سلطانا على كل جسد لأعطي حياة أبدية لكل من أعطيته ،
وهذه الحياة الأبدية ، أن يعرفوا أنك أنت الإله الحقيقي وحدك ،
ويسوع هو المسيح الذي أرسلته (يوحنا ٢ ، ١٧/٢) .

فالعيسوية هي (ناموس) جاء متما مكلا لما قبله من التوراة ، كما
قال المسيح : جئت لأتمم ناموس لا لأنقضه .

ثم إذا نظرنا إلى المحمدية نرى القرآن مشحونا بتوحيد الله ولزوم
طاعته وعبادته ، يقول : « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به شيئا »
و « الحمد لله رب العالمين » و « إياك نعبد وإياك نستعين » ،

هكذا نرى الأديان الثلاثة متفقة في الأمور التعبدية بلا أدنى تباين
أو تخالف .

ثم ننظر في المعاملات ، وما أجز منها في تلك الأديان ، وما هي
عنه فيها ، فترى أن ما جاء به موسى ، وما أمره الله به من الوصايا
قد عمل بها المسيح ولم ينقض ، أو ينقص منها شيئا ، وكذلك محمد فإنه
جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل (١) .

المسيحيون... ومحمد

المسلمون يقرأون في كتابهم ثناء الله على المسيح ، وعلى العذراء
مريم ، وعلى تلاميذ المسيح ، وهم لا يذكرون المسيح ، شأنهم مع كل
الأنبياء ، إلا بالصلاة والتسليم !!

والمسلمون يتفقون مع المسيحيين في الإيمان بالله - عموما -
واليوم الآخر .

ويتفقون معهم في أن الدين دعوة للحياة بالمثل العليا الفاضلة في كل
مكان ... وليس مجرد طقوس مطمورة في زوايا المعابد .

والمسلمون يتفقون مع المسيحيين على أن هدف الدين تقرير الاخاء
البشرى ، وتحقيق التقدم الانساني .

فهل الذين يتفقون في هذا كله ، يميز عليهم أن يتعاونوا على إقامة
المجتمع المتدين الفاضل والدفاع عن (التدين) كقضية فكرية
إنسانية كبرى ؟ .

(١) - خطرات جمل الدين صفة ٣١٣ - ٣١٤

إن المسلمين الذين يكرمون المسيح ، أقرب للمسيحيين من الذين يتكرون الألوهية والنبوة على الإطلاق ، ويحاربون المسيحية والاسلام وكل الأديان !! نجد هذا الإنكار في كتابات كبار الفلاسفة والمفكرين أمثال : « برتراند رسل ، الإنجليزي ، « ليون جوتيه ، الفرنسى و « ول ديورانت ، وغيرهم كثيرين ممن طعنوا المسيحية في معتقداتها طعنات قاتلة ، ومع ذلك فإن هذه الطعنات لم تنفضهم إلى قلوب المسيحيين . فهل يكون بدعا أن نرى المسلمين المؤمنين بنبوة المسيح أولى بالألفة والمودة .

لا ، ليس بدعا أن نرى تقيها وتعاطفا يزداد بزيادة الوعى ، وتعميق المفاهيم المشتركة بين من يؤمنون بإله ابراهيم .

هذا التعاطف ، وهذه الألفة لها جذورها للتاريخية في أحداث لم يغفلها للتاريخ توضح تقدير المسيحيين في مصر والشام للمسلمين ، وإيثارهم لهم على الروم البيزنطيين المسيحيين .

فلنقرأ ما كتبه مؤرخ إنجليزي مسيحي هو الدكتور الفرد . ج - بتر في كتابه « فتح العرب لمصر ، وهو يورد فيما كتبه نصوصا نقلها من المؤرخ المسيحي أبي الفرج (١٢٢٦-١٢٨٦) وهو مسيحي يعقوبى صار أسقفا فبطريركا ، وله (تاريخ الدول) بالعربية ، و(تاريخ الكنائس) بالسريانية .

في سنة ٦٣١ هـ ذهب الامبراطور (هرقل) إلى هيرا بوليس وبدأ

منها تحقيق ما كان يرجو إنقاذه من توحيد الكنيسة ، واختار اثناسيوس رئيسا لاساقفة انطاكية وجعل قيرس رئيسا لاساقفة الاسكندرية .

وكان الأمر في بلاد الشام على ما كان عليه في مصر ، إذ أخفق الامبراطور هناك فأراد حمل الناس على ما أراد بالاضطهاد ...

قال أبو الفرج : ولما شكنا الناس إلى هرقل لم يجب جوابا .. ولهذا أنجانا الله المنتقم من الروم على يد العرب ، فعظمت نعمته لدينا إن أخرجنا من ظلم الروم ، وخلصنا من كراهيتهم الشديدة ، وعداوتهم المرة ، على أن كنا نسنا لم ترجع إلينا . لأن العرب أبقوا كل طائفة من المسيحيين على ما كان في يدها عند فتحهم للبلاد ! وأنه لمن المحزن أن يقرأ الإنسان مثل هذا الترحيب من قوم مسيحيين بحكم العرب ، وزعمهم أن ذلك كان تخلصاً لهم ساقه الله اليهم ليخرجهم من حكم إخوان لهم في المسيحية ١٤

وهكذا نجد أيضا مطرانا لسطوريا - بعد أخذ دمشق بخمسة عشر عاما يقول في كتابه : وهؤلاء العرب الذين أعطاهم الله السلطان في أيامنا لا يحاربون دين المسيح ، بل هم يدافعون عن ديننا ويجلون قسوسنا وقديسينا ويهبون الهبات لكنائسنا وأديرتنا .

أما الدول البيزنطية ، فقد ذاق المسيحيون المخالفين لمذهبها ألوان الاضطهاد المرير على أيدي رجالها .

« وابتدأ الاضطهاد الأعظم بعد مجمع الاسكندرية الذى عقده قيرس في أكتوبر سنة ٦٣١ . جاء في كتاب ساويرس : لقد كانت هذه السنون

هي المدة التي حكم فيها هرقل والمقوقس بلاد مصر ، وقد فتن في أثناءها كثير من الناس لما نالهم من عسف الاضطهاد والظلم ، ومن شدة العذاب الذي كان يوقعه هرقل بهم لكي يحولهم على رغبتهم من مذهبهم إلى مذهب خلقيدونية . فكان يعذب بعضهم ، ويعد البعض أحسن الجزاء ، ويمكر بالبعث ويخدعهم .

كان أخو بنيامين (البطريك) ممن عذبوا ثم قتل غرقا ، وكان تعذيبه بأن أوقدت المشاعل وسلطت نارها على جسمه فأخذ يحترق (حتى سال دهنه من جانبيه على الأرض) - كما يقول ساويرس أسقف الأشموين القبطي الذي كتب تاريخ حياة البطاركة - ولكنه لم يتزعزع عن إيمانه ، خلعت أسنانه ، ثم وضع في كيس مملوء من الرمل . وحمل في البحر حتى صار على قيد سبع غلوات من الشاطئ ، ثم عرضوا عليه الحياة . إن هو آمن بما أقره مجلس خلقيدونية !! فعلاوا ذلك ثلاثا . وهو يرفض في كل مرة ، فرموا به في البحر فمات غرقا !

ووضعت على مصر حماية الإسلام .. فأدى ذلك إلى تنفس الناس في عباداتهم ، واختيار ما يشاءونه في دينهم .. وأصبح القبط في أمن من الخوف الذي كان يلجئهم إلى إنكار عقيدتهم ، أو إخفائها تقية ومدارة ، فعادت الحياة إلى مذهب القبط في هذا الجو الجديد - جو الحرية الدينية - وما لبث أن صار مذهب السكثرة الذي يحق له أن يكون مذهب الأمة السائدة . وقد قضى عمرو بن العاص بأنه كذلك ، وأنفذ قضاءه بأن كتب أمانا لبنيامين - البطريق - وأقر عودته . وقيل إن الذي

حدا بعمره إلى المبادرة بهذا الأمر ما أبلغه إياه رجل اسمه سنوتوس (أو هو شنوده) ،. ولكن الموضوع الذي كان به بنيامين كان مجحولا لا يعلم به أحد ، ولا يعرفه شنوده نفسه وعلى ذلك كان لا بد من كتابة أمر الأمان على هيئة كتاب لا تخصيص فيه وكانت صورته كما يلي (أينما كان بطريق القبط بنيامين نعهه الحماية والأمان وعهد الله ، فليات البطريق إلى هاهنا في أمان واطمئنان ، ليلي أمر ديانته ويرعى أهل ملته) إذن فا كان أعظم ابتهاج القبط بمخلصهم بما كانوا فيه فقد خرجوا من عهد ظلم وعسف تطاول بهم ، وهوت بهم إليه حماقة البيزنطيين ، وآل أمرهم بعد خروجهم منه إلى عهد من السلام والاطمئنان ، وكانوا من قبل تحت نيرين من ظلم حكام الدنيا واضطهاد أهل الدين ، فأصبحوا وقد فك من قيدهم في أمور الدنيا ، وأرحى من عنانهم ، وأما دينهم فقد صاروا فيه إلى تنفس حر وأمر طليق .

وقد يقال : إن حكامهم الجديدين قد أدخلوا إلى الأرض ديناً غريباً غير دين المسيح ، وهذا حق ، غير أنهم لم يروا في ذلك ، إلا عدلا من الله ، إذ أجمع الناس على قول واحد فقالوا : ما خرج الروم من الأرض وانتقم عليهم المسلمون ، إلا لما ارتكبه هرقل من الكبائر ، وما أنزله بالقبط دولتهم على يد قيرس ، فقد كان هذا سبب ضياع أمر الروم ، وفتح المسلمين لبلاد مصر هكذا كان الناس يرون ، وهكذا كانوا يحكمون (١) .

(١) بلتر : فتح العرب مصر ، ترجمة فريد أبو حديد .

وحول المعنى نفسه كتب باحث انجليزي آخر هو د. توماس أرنولد، في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) وقد استطاع ميخائيل الأكبر بطريرك أنطاكية اليعقوبى أن يجذب - فيما كتبه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر - ما كان قد كتبه لإخوانه في الدين، وأن يرى أصبح الله في الفتوح العربية حتى بعد أن خربت الكنائس الشرقية الحكم الاسلامى بخمسة قرون !! إن الجيش الاسلامى حين بلغ وادى الاردن وعسكر أبو عبيدة في قحل، كتب الأهالى المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون : يا معشر المسلمين أتم أحب اليانا من الروم ، وإن كانوا على ديننا أتم أوفى اليانا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا، ولسكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا !! وغلقت أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب اليهم من ظلم الاغريق وعسفهم !!

لقد كان خوف الناس من أن يكرههم الامبراطور على اتباع مذهبه، يجعل الوعد الذى قطعه المسلمون على أنفسهم بالحرية الدينية أحب إلى نفوسهم من ارتباطهم بالدولة الرومانية وبأية حكومة مسيحية ، ولم تكذب المخاوف الاولى التى أثارها نزول جيش فاتح في بلادهم تتبدد حتى أعقبها تحمس قوى لمصلحة العرب الفاتحين .

أما ولايات الدولة البيزنطية التى سرعان ما استرلى عليها المسلمون ببسالتهم فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة .. اللهم إلا إذا استثنينا بعض القيود التى فرضت عليهم منعا

لإثارة أى احتكاك بين اتباع الديانات المتنافسة ، أو إثارة أى تعصب نشأ عن إظهار الطقوس الدينية في مظهر المفاخرة حتى لا يؤذى ذلك الشعور الاسلامى ، وتمكين الحكم على مدى هذا التسامح - الذى يلفت النظر في تاريخ القرن السابع - من هذه العهود التى أعطتها العرب لأهالى المدن التى استولوا عليها (١) .

هكذا استقبل المسيحيون الاسلام والمسلمين في ديار مصر والشام. وعاش المسلمون والمسيحيون معا .

امتزجوا وتفاعلوا .. وصهرتهم الاحداث ...

امتزاجا لا يهمل قدر الدين ، فهؤلاء وهؤلاء متدينون ...

ولا تقوم على النفاق والمداهنة .. فهذا ما لا يرتضيه الاسلام، ولا ترتضيه المسيحية .

ولإنما يأتى التجاوب من أعماق النفس .

ويأتى التفاهم من الاصول الفكرية التى قررها المسيح ومحمد ، اللذان أبلغا رسالة الله إلى الناس ، كي يسعدوا دنياهم بهدى دينهم .. لا ليشقوا أنفسهم بالفرقة والشقاق .

إن الدين والتدين لا حوج إلى السلام الدينى في حياة الأديان ذاتها منهما إلى أشياء أخرى تثبت بهما معاملها في الوحدة .

(١) توماس أرنولد : الدعوة إلى الاسلام ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن .

لا أحسب أن قوة التجارب الماضية تبعد هذا السلام إلى حد الاستحالة بل هو ممكن وأن أعوزه غير قليل من الشجاعة ، شجاعة القوى المتكتمة فردية واجتماعية ، ومثل هذه القوى الشجاعة - شجاعة النفوس - في مقاومة هوائها وأخطائها (١) .

خاتمة

والآن ، وفي ختام البحث أود من القارئ أن يستعيد في ذهنه ما قدمته ، وأن يتأمل فيه بروح حيادية منصفة ، وسيرى أنني ما قدمت إلا الحق والصدق ، ذلك أنه قد وضح لنا أن القرآن لا يختلف في مضمونه عن أى كتاب سماوى آخر وأنه يحوى آية صدقه بما اشتمل عليه من دعوة إلى الخير والصلاح ، وإلى الحق والعدل ومحبة الله ، وإلى الأخوة الانسانية . واتضح لنا أيضاً أن دعوة نبي الإسلام لا تختلف في جوهرها عن دعوة السيد المسيح ، دعوة إلى الحب والإخاء ، وإلى عبادة الله وحده ، كما لا تختلف عن دعوة سائر الأنبياء وهذا هو أساس العقيدة الذى لا يستبدل ، أما التشريع الذى ينظم حياة الجماعة فهو الذى يتطور في الرسائل الإلهية على أيدى الرسل تبعاً لمصلحة البشرية ودرجة نموها وتطور إدراكها . لذا فإن من يعترف بوحي إلى رسول من البشر لزمته الحجة ألا ينكر نزول الوحي على أى رسول من حيث المبدأ . وأن التفريق بين رسل الله والإيمان ببعضهم دون بعض رأى لا يسنده منطق سليم ولا إيمان صحيح .

(١) من مقال سلام دبنى . مجلة المجلة مايو ١٩٥٧

إن الرسالات الإلهية كلها تخاطب في الإنسان فطرته التي فطره الله عليها ، لأنها كلها تمجد الحق والعدل ، وتحارب نزعات الانحراف والفساد فلا عصبية لجنس أو لون ، ولا امتياز لامة دون أمه إلا بالتقوى والعمل الصالح ولو أنصف الناس لأراحوا أنفسهم بما يكابدون من مشكلات دينية أو غير دينية صيرت حياتهم صراعا ممتا وشقافا دائما ، وتمصبا كريها لكل ما خلقه الآباء دون نظر فاحص أو تفكير سديد وذلك لأن وحدة الإله ووحدة العقيدة هي جوهر كل الرسالات السماوية . لو عرف الناس ذلك وتوافقوا على فهمها لتعارفوا إن دين الله يجب أن يكون واحداً في كل زمان ولا يقنوا أن رب نوح هو رب إبراهيم وموسى والمسيح ومحمد وغيرهم من الرسل ، وأن عباده جميعا أمام الله سواسية .

لو عرف الناس ذلك وأيقنوا معه أن الله خلق لهم ما في الأرض جميعا وسخر لهم ما في السموات والأرض ، وأنه لم يختص بشيء مما خلق أو سخر أهل دين من الأديان ، وإنما خلق ما في الأرض للناس كافة . لو عرف الناس ذلك كله لتخلصوا من أهوائهم وموارثهم البالية ، ولا تجبوا جميعا وجهة صالحة طيبة ، ولآمنوا بأن من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها . وبهذا وحده تذوب العصبية وتختفي الأحقاد ، ويلتقي الناس على طريق سوى يهدى التي هي أقوم .

جاء في الاجتماع التاسع والأربعين بعد المائة المنعقد بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٦٥ بمدينة الفاتيكان ما يأتي : إن الأمم كلها أسرة واحدة

تنحدر من أصل واحد إذ أن الله قد أقام كل أمة من البشر على وجه الأرض كلها ، كما أن لها في النهاية هدفاً واحداً هو الله الذي يشمل الجميع بعنايته وآيات لطفه وتديره الخلاصية .

وجاء في فقرة أخرى : إن الكنيسة تنظر بعين أم الأكرام والإجلال إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأحد الحي القيوم الرحمن القدير ، فاطر السماء والأرض الذي كلم البشر . فالمسلمون دأبهم الاستسلام من صميم نفوسهم لأحكام الله الخفية ، كما استسلم لله إبراهيم الذي يتخذونه لإيمانهم أسوة مستحبة . أجل أنهم لا يدينون بيسوع إلها ، ولكنهم يجلونه نبياً ، كما أنهم يكرمون والدته العذراء مريم ويتوجهون إليها أحيانا بخالص الدعاء وهم إلى ذلك يترقبون يوم الدين ، يوم يجازى الله الناس جميعا بعد أن يعيشون ، ومن ثم فهم يراعون مكارم الأخلاق ويعبدون الله خصوصاً بالصلاة والزكاة والصوم .

والكنيسة الكاثوليكية لا تنكر لشيء مما هو صحيح ومقدس في هذا الدين وتنتظر بإخلاص واحترام إلى هذه الشرائع ، وتستحث أبناءها على أن يشهدوا على إيمانهم بالجوار والتعاون مع أتباع هذا الدين والديانات الأخرى ، وأن يعترفوا بما لديهم من حسنات روحية وقيم إجتماعية وثقافية يعملون على صيانتها وتعزيزها . وإن خالفت في كثير من القضايا ما تملكه الكنيسة وتقول به إلا أنها تحمل غالباً قبساً من تلك الحقيقة التي تنير كل الناس .

وفي نفس هذا الاتجاه يقول الدكتور ميشال الحائك ، (١) في كتاب له بعنوان « المسيح أمام المسلمين » يقول : إن هناك فرضاً قاطعاً على عقن المسيحيين وهو أن يقبلوا على تفهم الدين الإسلامي بإخلاص لمعتقد الغير وانفتاح على ما بينه وبين المسيحيين من قرب ، ثم يقول « وفي زحمة هذه الأعاصير الحاوية على العالم من كل حدب وصوب ، لا بد للمؤمنين بإله « إبراهيم » من أن يقفوا صفاً واحداً للدفاع عن قضية الإيمان التي هي قضية الإنسان .

وهذا ما أريده تماماً ، وهذا أملنا بل وأمل الإنسانية المتدنية في أن يكون هناك المزيد من التسامح والتقارب بين مختلف الأديان ، خصوصاً بين المسلمين والمسيحيين لما بينهم من روابط المودة والأخوة والأهداف المشتركة ، تفادياً لمزيد من الضحايا ، ضحايا التعصب الديني والحلاف المذهبي ، والتناساً لشيء من التماسك في مواجهة تيار الإلحاد الضار ، أنها دعوة إلى وحدة إنسانية شاملة في ظل دين الله ، فليس ما يدين به قوم من الأقوام من شرع الله الذي نزل على رسول من رسله بداعية لهم إلى الانعزال عن الأقوام الآخرين الذين جاءتهم رسل الله وكتب الله . ولما كنا قد عرفنا بما سبق أن الدعوة الإسلامية لم تكن من عمل أحد ولا لحساب أحد ، وإنما هي دعوة سماوية تصل ما انقطع من دعوات السماء وفي رسالات المرسلين إبراهيم وموسى والمسيح ، فإن الرسل جميعاً إذن رسل الله ، والكتب كتب الله ، والشرع شرع الله ، والناس جميعاً

(١) دكتوراة في اللاهوت وأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس .

عباد الله فكيف يساغ أن يكون الدين — مع هذا — مصدر تفرقة وداهية عداوة وبغضاء ؟ إن ذلك إن يكن فليس بما شرعه الله وأذن به ، وإنما هو بدع وضلال جاء به مبدعون وضلال .

إن العالم اليوم يمر بأخطر مرحلة في حياته ، أنه يعيش حياة طابعها القلق والتوجس من حرب مهلكة لا تدع حيواناً أو نباتاً ، ومع ما حققه من نصر رائع باهر في دنيا العلم والمخترعات فإنه لم يحقق لنفسه أمناً معنوياً واطمئناناً قليلاً ، لقد تحكمت فيه المادة تحكما أفقده الإحساس بقيمة الروح والسمو بها إلى آفاق عليا من التطهر والصفاء . هذه الحالة المؤلمة التي وصل إليها العالم اليوم لا منجاة له منها إلا بالاعتصام بجبل الله والرجوع إلى هدى الدين ووصل الناس ، والإيمان بان دين الله واحد ورسله جميعاً بعثوا بالرحمة ودعوا إلى المحبة ، وأي تصور لحقيقة أية دعوة سماوية تقوم على غير هذا المفهوم هو تصور خاطيء وانحراف مضلل للدعوة من شأنه أن يعكر صفوها ويكدر مواردها ويصد الناس عنها .

وأخيراً فإن الحق أحق أن يتبع ، وقد قدمت ما اعتقدت أنه حق وصدق . لقد درست وبحثت ، وكان هدفي معرفة الحقيقة التي يطمئن لها القلب ويقبلها العقل ، ولا أطمع من وراء هذا سوى أن أكون قد أسهمت بجهدي المتواضع في سبيل حياة تقديس القيم الروحية والإنسانية .

الفهرست

٣	تعريف بالكتاب
٥	مقدمة
١١	إثبات أن القرآن كتابا سماويا
٣١	محمد وهل هو رسول من عند الله؟
٦٢	هل بشرت الأناجيل بمحمد
٧٣	الارهاصات بالنبي محمد
٧٧	دين الله واحد
٨٩	المسيحيون... ومحمد
٩٧	خاتمة

المراجع

- ١ - الكتاب المقدس (المهدين القديم والجديد)
- ٢ - القرآن الكريم
- ٣ - الملل والنحل للشهرستاني
- ٤ - إظهار الحق رحمة الله بن خليل الهندي
- ٥ - المسيحية في الإسلام الأب إبراهيم لوقا
- ٦ - روح الإسلام سيد أمير حلي
- ٧ - قضية الألوهية عبد الكريم الخطيب
- ٨ - عبادة الأبطال توماس كارليل
- ٩ - حياة محمد سير توماس ميور
- ١٠ - محمد رسول الله آيتين دينية - ترجمة عبد الحلیم محمود
- ١١ - الإسلام الفريد جيوم . ترجمة . دسوقي العسكري
- ١٢ - المسيح في الأناجيل الأربعة فتحي عثمان

یتمیز وقتنا الحاضر بالمحاولات الجادة الدائمة للتقارب وتقوية الروابط بین أهل الأديان خاصة المسيحية والإسلام - لما بینهما من قرین ومودة وتعاطف ، وهی محاولات تهدف إلى الرجوع إلى جوهر العقيدة ، ونبذ التعصب والوقوف معاً علی أرضية مشتركة یرضی عنها الجميع ، وذلك للوقوف صفأ واحداً أمام موجات الإلحاد الضارية .

وهذا الكتاب مساهمة متواضعة فی هذا السبیل ، لأنه دعوة إلى وحدة إنسانیه شاملة فی ظل دین الله ، الدین الذی جاء علی ألسنة جميع الانبیاء والرسل یرؤه المسيحي فیزداد اقتناعاً أن لنا لحوة یؤمنون بالله إبراهيم ویؤمنون بالرسالات السماویة السابقة وأن إلهنا واحد وسماؤنا واحدة وأرضنا واحدة ، یرؤه المسلم فیزکره بما جاء به دینه من احترام للعقائد السابقة ، وأن أقرب الناس إلیه الذین قالوا إنا نصاری ، وأرجو أن أكون قد وفقت ؟

المؤلف